رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نحو فهم إسلامي صحيح

معالم الهدى إلى فهم الإسلام

صنعة
أبو عائشة
الدكتور مروان إبراهيم القيسي
جامعة اليرموك - إربد - الأردن

وقف لله تعالى
طبع على نفقة أصحاب شركة عبدالعزيز ومحمد العبدالله الجميح

المكتبة الإسلامية
عمان - الأردن

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نحو فهم إسلامي صحيح

معالم الهدى إلى فهم الإسلام

صنعة
أبو عائشة
الدكتور مروان إبراهيم القيسي
جامعة اليرموك - إربد - الأردن

وقف لله تعالى

طبع على نفقة أصحاب شركة عبدالعزيز ومحمد العبدالله الجميح

المكتبة الإسلامية
عمان - الأردن

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
٤٠٦ / ٩ / ١٩٨٥

المكتبة الإسلامية
ص . ب ١١٣ الجبيهة - هاتف ٨٤٢٨٨٧
عمان - الأردن

شكر وتقدير واحترام

* الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. اللهم لك الحمدُ، أنت نُورُ السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد. أنت قيام السموات والارض، ومن فيهن، ولَكَ الحمد. أنت ربُّ السموات والارض ومن فيهنَّ، ولك الحمد. أنتَ الحقُّ، ووعدُك الحقُّ وقولُك الحقُّ، ولقاؤك حق. اللهم ربنا لك الحمدُ ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكُلُّنا لك عبد. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفعُ ذا الجد منك الجد.

* يحق على المؤلف ان يتقدم بالشكر والعرفان لوالديه اللذين اقترن رضاهما برضا الله عز وجل. كلمة وفاء صادقة لما افنوه من عمرهم في تربيتي وتوجيهي باتجاهين اساسين: الدين والعلم، واصرارهما المتواصل على ان أصل واخوتي الى اعلى مستوى علمي يمكن ان نصل اليه. اتضرع الى الله تعالى ان يحسن جزاءهما وان يعينني على تحصيل رضاهما.

* ويتقدم المؤلف بخالص شكره لزوجته عطاف على تهيئة المناخ المناسب الذي كان له كبير الأثر في اعداد هذا البحث. ان توفير الجو المناسب للبحث والتنقيب في عصر يعج بما يصرف عنهما لشيء عسير، ولعلي احاول هنا أن أرد شيئا يسيراً الى زوجي لما قدمت في سبيل توفير ما احتجت اليه اثناء اعداد هذا البحث.

* ويسجل المؤلف تقديره لأصحاب الدراسات الذين اقتبس من آثارهم أو شاركهم في آرائهم وللاخوة الذين ساهموا في تقديم مشورتهم وتعليقاتهم القيمة على هذا البحث.

* وإنَّ المؤلف يسجل احترامه وتقديره لكل من اطلع على هذا البحث فوقع على خطأ فتعامل معه بنية حسنة وسريرة صافية وعمل على اصلاحه

* ويرى المؤلف ان من حق شركة عبدالعزيز ومحمد الجميح ان يقدم لها شكراً خاصاً لتوليها تمويل نشر هذا الكتاب.

* والحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مَكْفيٍّ ولا مُوَدَّعٍ ولا مُسْتَغنىً عنه رَبنا.

المؤلف

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تقديـــم

بسم الله الرحمـــن الرحـــيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يـا أيُّهـا الـذينَ آمنُـوا اتَّقـوا الله حقَّ تُقَـاتِـهِ وَلَا تَـمـوتُنَّ إلَّا وأنْتُم مُسْلِمُـونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿يـا أيُّهـا النَّـاس اتَّقُـوا رَبَّكُمُ الـذي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ واحِـدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهـا زَوجَهـا وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً وَنِساءً واتَّقوا الله الذي تساءلون بِهِ والأَرْحَام إنَّ الله كانَ عَليكُم رقيباً﴾[النساء : ١]

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا اتَّقُوا الله وقُولُوا قَوْلاً سديداً يُصْلِح لَكُم أَعْمالَكُم وَيَغْفِر لَكم ذُنُوبَكمُ وَمَن يُطِع الله وَرَسولَهُ فَقدْ فازَ فَوْزاً عظيماً﴾ الأحزاب: [٧٠-٧١]

أمـا بعد :

فإن الغاية الأساس من هذا الكتاب هي الفصل بين الإسلام وبين مـا هو دخيل عليه متمثلاً في الكثير من ممارسات المسلمين عبر التاريخ ، بحيث تتضح صورة الإسلام دون زيف ودون إضافات دخيلة وغريبة ودون أية وصاية بشرية على دين الله .

إن الأسباب الحقيقية للانحطاط الذي تمر به الأمة اليوم أسباب داخلية وليست خارجية . وفي مقدمة هذه الأسباب تشوه الصورة الأصيلة للإسلام لدى الأجيال المسلمة المعاصرة .

وإن اختلاط الفهم الإسلامي الصحيح بغيره أمر لا يستطيع أن ينكره أحد فهذا الإمام الكبير ولي الله الدهلوي من علماء القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي يقول ما نصه: «ومما دخل في ديننا علوم بني إسرائيل وتذكير خطباء الجاهلية وحكمة اليونانيين ودعوة البابليين وتاريخ الفارسيين والنجوم والرمل والكلام»(١) ولقد أخبر رسول الله ﷺ عما سيقع من تحريف في الفهم بقوله: «افترقت اليهود على أحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار. وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار»(٢).

كما أخبر عما سيقع من تجديد لفهم المسلمين للإسلام وإعادته لمصادره الأصلية: الكتاب والسنة بقوله ﷺ «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(٣) وقوله عليه السلام «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل من هم يا رسول الله؟ قال: الذين يَصْلُحون إذا فسد الناس»(٤)

إن الخطوة الأساس في عودة المسلمين إلى دينهم هي فهم الإسلام فهماً صحيحاً موافقاً للكتاب والسنة، ودون ذلك تظل الجهود التي تبذل في سبيل تلك الغاية مبددة وضائعة.

وإن هذا الكتاب يضع الخطوط العريضة للوصول إلى فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً، وقد استعرضت من خلال تلك الخطوط قصة انحراف فئات من المسلمين سواءً فيما يخص التصور الصحيح للعقيدة أو فيما يتصل بفهم القرآن الكريم والسنة

(١) ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، جـ ١ ص ٢٥٦
(٢) حديث صحيح لابن ماجة عن عوف بن مالك، وانظر صحيح الجامع الصغير ١٠٩٣.
(٣) حديث صحيح اخرجه ابو داود (٤٢٩١) والحاكم(٤/٥٢٢) عن ابي هريرة.
(٤) حديث صحيح، انظر سلسلة الاحاديث الصحيحة، جـ ٣، ص ٢٦٧.

النبوية أو التعامل مع كتب الفقه إضافة إلى الانحراف في ممارسة العبادات.

كما استعرضت مؤامرة القرن العشرين ضد الإسلام متمثلة في الجهود الهادفة الى تعطيل حركة الإسلام من الداخل بتمييع مفاهيمه المتعلقة بالالتزام بأحكامه بدعوى المطالبة بالأفكار المعتدلة والمعقولة(١)، والبعد عن التزمت والتشنج والتطرف والجمود والحرفية والتعصب والالتزام بروح الإسلام لا بنصوصه مما لا يخفى على المراقب الفاحص مقاصد أصحابها والداعين إليها.

إن لهذا الكتاب جانبين أما الجانب الأول فإنه يتعرض فقط للأخطاء والانحرافات في فهم العقيدة وممارسة العبادة، وانحراف الفقه والتفسير مع أمثلة من الانحراف والتحريف المعاصرين. وهذا الجانب هو القسم الأول من الكتاب، وقد جاء تحت عنوان «معالم الانحراف في فهم الاسلام» وهذا الجانب هو جانب النقد دون طرح البديل.

وأما القسم الثاني من الكتاب فإنه يعرض البديل ممثلاً في الإجراءات والخطوات الكفيلة بإعادة المسلمين إلى الفهم الصحيح للإسلام وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: الفهم الصحيح للعقيدة والممارسة الصحيحة للعبادة مع إعادة التفسير والفقه إلى مسارهما الصحيح القويم. وقد استعمل لفظ التجديد مراراً وتكراراً في هذا القسم الذي أعطيته عنواناً. «معالم الهدى إلى فهم الإسلام» وباسمه سمي الكتاب لأنه الغرض الأساس والأول منه.

والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه وأن يتقبله بقبول حسن وأن يجعله لي صدقة جارية وأن ينفع به المسلمين إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

والحمد لله رب العالمين

المؤلف

---

(١) وهي كلمة حق أُريد بها باطل، كما لا يخفى على العاقل!.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القسم الأول

معالم الانحراف في فهم الإسلام

١ ـ أسباب الانحراف في فهم الإسلام
٢ ـ الانحراف في فهم العقيدة
٣ ـ الانحراف في ممارسة العبادة
٤ ـ انحراف التفسير
٥ ـ انحراف الفقه
٦ ـ دفاعاً عن السنة
٧ ـ أمثلة من الانحراف والتحريف المعاصرين

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أسباب الانحراف في فهم الاسلام

يمكن القول: إن أسباب الانحراف في فهم الإسلام تأتي من فئتين من الناس هم العلماء والعامة. ولا شك أن الانحراف الذي يتسبب به العلماء أشد خطراً من ذلك الذي يحدثه العامة، لأن انحراف العامة يُصَحّح، أما انحراف العلماء فإنه يُتَّبع على أنه هدى ودين. وتحريف اليهودية والنصرانية كان معظمه من الرهبان والأحبار. وفيما يلي عرض لأهم الأسباب التي نشأ عنها نوع الانحراف الخاص بالإسلام، والذي سيتبين لنا من خلال البحث انه ليس تحريفاً بالمعنى الصحيح، ولا بالطريقة التي وقعت في الأديان الأخرى.

١ ـ انحراف العلماء، وهذا الانحراف يأخذ اتجاهين:

أولاً: عدم كفاءة أهل العلم الشرعي، وهذه ناحية علمية بحتة لها مظاهر منها:

أ ـ ضعف التحصيل العلمي عندهم وعدم زيادته، لقلة القراءة والدراسة، مما أدى الى تولي أناس غير مؤهلين وغير اكفاء لمناصب التعليم والتدريس الشرعي والخطابة والوعظ، قال ﷺ «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل...(١)، وقال عليه السلام «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم.»(٢).

ب ـ عدم اعتماد المراجع والمصادر الأصلية، فلا يبنون علومهم على الأصلين وهما الكتاب والسنة، وبعضهم يعتمد القرآن ويهمل السنة، وآخرون يعتمدون الفقه والفقه فحسب، وآخرون يأخذون العلم من غير مصادره ابتداءاً، فيأخذونه من كتب التاريخ والأدب مثلاً!!

ثانياً: الانحراف الناتج عن البواعث والدواعي الفاسدة التي تحمل أصحابها

(١) من حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك، وانظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢٢٠٢
(٢) صحيح أخرجه البخاري وأحمد وابن ماجة عن أبي هريرة: انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٧٣٠٥

على التأويلات الباطلة للقيم الاسلامية وتشويه التصور الإسلامي الصحيح كما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وفي مقدمة هذه الدواعي :

أ ـ طلب رضاء السلطة السياسية لتحصيل مركز نفوذ أو رفع مستوى مادي .

ب ـ الانتصار لرأي حزب ديني أو جماعة ، فيعمد بعض المنتسبين للعلم إلى التأويلات الفاسدة للنصوص الدينية لدعم رأي معين .

ولقد أصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ قال «يهدم الإسلام زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين»(١) .

٢ ـ دخول أناس جدد في الاسلام من أمم شتى وأديان مختلفة . وحيث إن الأديان السابقة تظل تمارس تأثيراً أو نفوذاً ما ، فإن ذلك قد يمتد تأثيره على الدين الجديد ، بأن ينقل الداخلون إليه من تلك الأديان عناصر معينة تحت ضغط التأثير النفسي لا عن قصد سيء ، ولذا يجب التنبه لهؤلاء الداخلين الجدد في الاسلام وصهرهم في بوتقة الدين في أسرع وقت ، ولا شك ان القصد السيء ، قد يكون من بعضهم فيحاول ان يفسد الدين الذي تظاهر باعتناقه (الإسلام) . غير أن هناك أسبابا أخرى عند بعضهم وهي عن غير قصد ، منها : الفهم الناقص للإسلام أو التأثير المستمر للدين السابق مما يدفع به إلى محاولة التوفيق بين دينه الأول والإسلام في اوجه معينة ، أو أنه يميل لشيء في دينه فيحاول أن يجد له دليلاً في الاسلام ولو من وجه ضعيف .

٣ ـ الملاءمة بين الفكر الدخيل والاسلام :

فقد تأثر المسلمون بالثقافات الأجنبية الأخرى مما أدى إلى تسرب الفكر الأجنبي : الوثني (الإغريقي او المصري) والديني الشرقي البوذي ، البرهمي ، الزرادشتي المانوي ، المسيحي ، اليهودي ، الفلسفي اليوناني . وهذا التسرب خلق ما يأتي :

---

(١) رواه الدارمي في سننه (١/ ٧١) وصححه الالباني في تخريج المشكاة جـ ١ ، ص ٨٩ .

أ ـ المذاهب الفلسفية التي منها:

١ ـ الاتجاه الفلسفي الطبيعي الذي يمثله أبو بكر الرازي.

٢ ـ الاتجاه الفلسفي لما بعد الطبيعة الذي يمثله ابن سينا في المشرق، وابن رشد في المغرب.

٣ ـ الاتجاه الفلسفي الاشراقي الذي يمثله السُّهْرَوَرْدي المقتول.

ب ـ كما ساعد الفكر الأجنبي الدخيل على نشأة:

١ ـ التصوف الزهدي الذي يمثله الحارث المحاسبي.

٢ ـ التصوف الفلسفي الذي يمثله الغزالي.

٣ـالتصوف الهندي المسيحي الأفلاطوني الحديث الذي يمثله ابن عربي وابن سبعين والحلاج.

لقد ركزت المعتزلة على الفلسفة اليونانية، يقول الأستاذ أنور الجندي بهذا الخصوص «فإنها كانت المحاولة الكبرى لاخراج الإسلام عن جوهره وإذا بته ودفعه الى نفوذ الفلسفة اليونانية لتغتاله بعد أن اغتالت اليهودية والمسيحية من قبل»(١) ويقول المؤلف نفسه في موضع آخر من كتابه: «ولربما اشاد المستشرقون بالمعتزلة من أجل اتصال مذهبهم بالفلسفة اليونانية وكان لهم مطمع ان تأكل الفلسفة اليونانية الإسلام»(٢).

على أن من أبرز الدوائر الاسلامية التي تأثرت بالثقافات والديانات الأخرى هي دائرة التصوف. فقد قبل التصوف الاسلامي عقائد وأفكاراً ترجع الى المسيحية والافلاطونية الحديثة والبرهمية وبعض الديانات الفارسية القديمة.

إن كثيراً من مواقف التصوف كما يشير الى ذلك الأستاذ انور الجندي «قامت

(١) انور الجندي، شبهات في الفكر الاسلامي، ص ٤٠
(٢) المصدر السابق، ص ٤٥

على أسس الفلسفة الوافدة من المدارس الافلاطونية المحدثة ومن المجوسية ومن مفاهيم الهنود القدماء القائمة على وحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها من صور الغنوصية كالإشراقية وغيرها»(١). ولقد بالغت الفلسفة الشرقية الغنوصية في اعتماد مفاهيم الوجدان والبصيرة وحدها. وهذا ما تأثرت به المتصوفة من إعلاء شأن القلب والوجدان وانهما سبيل المعرفة الوحيد. وهذا ما لا ينكره او يتنكر له المتصوفة انفسهم، فهذا شيخهم ومنظرهم في العصر الحديث الشيخ عبد الحليم محمود يقول: ـ

«واذا عجز المنهج العلمي المادي عن دراسة التصوف في حقيقته وجوهره وعجز المنهج العقلي كذلك، فإن الصوفية جميعاً وفلاسفة الاشراق منذ فيثاغورس وافلاطون الى يومنا هذا يعلنون منهجاً محدداً يقرونه جميعاً ويثقون فيه ثقة تامة ذلك هو المنهج القلبي او المنهج الروحي او منهج البصيرة وهو منهج معروف اقرته الأديان جميعها واصطفته مذاهب الحكمة القديم منها والحديث. . . . »(٢)

٤ ـ دعوى الدليل العقلي وتقديس العقل.

وقد سرت هذه النزعة بين الكثير من المسلمين، فظنوا خطأ أنها من الاسلام. ولا ريب ان الإسلام اعطى العقل مكانة مميزة، لكن ليس إلى الحد الذي وصل إليه بعضهم متمثلاً فيما يأتي:

أ ـ اخضاع الدين للعقل وجعل الأخير مقياساً للدين وحكماً عليه. فما يقبله العقل مقبول وما ينكره العقل مرفوض. بحيث يتم تجريد الاسلام من دليلة النقلي وتفريغه في مضمون عقلي فلسفي. فمن هؤلاء قديماً الاشاعرة وكثير غيرهم من المتكلمين قدموا العقل واوّلوا النصوص تبعا له. والمعتزلة لم يكتفوا بذلك ايضاً بل إنهم حاولوا إعلاء العقل وحده وأسرفوا في ذلك حتى كادوا أن يخرجوا عن الاتجاه

(١) المصدر السابق، ص ٣٩. والغنوصية هي نزعة فكرية ترمي الى مزج الدين بالفلسفة، وتطلق خاصة على جماعة من المفكرين في القرنين الاول والثاني للميلاد

(٢) عبد الحليم محمود، المرسي ابو العباس، ص ١٠

الإسلامي العام . وقد اتسم ذلك بالغلو في التأويل مما أدى إلى تصورات منحرفة عن الحقائق القرآنية ومخالفة للأصول الصحيحة في الإسلام .

ب ـ جعل العقل أساساً للتشريع وبناء أحكام شرعية جديدة على أساس ما يظن أنه مقصود الشارع . ولا شك أن الشارع بيَّن الحكمة أحياناً من بعض الأحكام ، لكن الحكمة ليست مقصود الشارع كله ، فالعقل غير قادر على الإحاطة المطلقة بالحقائق التي أوردها الدين وأسرارها .

٥ ـ التعصب المذهبي : ويتمثل ذلك في التقليد الأعمى من عامة المسلمين لمجتهدي الأمة والذين هم أصلاً غير معصومين ، وهو تقليدٌ يرفض معه صاحبه أي رأي معارض بل أي حديث يعارض مذهب إمامه ولو كان صحيحاً ، وهذا التقليد مرفوض جملة وتفصيلاً . قال تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبارَهُم وَ رُهْبَانَهُم أرباباً من دُونِ اللهِ** ﴾ [التوبة : ٣١] وعن عدي بن حاتم : قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية ، فقلت له : إنا لسنا نعبدهم ، قال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم . (١) .

غير أن الإسلام لا يرفض التقليد بعامته فهناك تقليد لا بأس به وهو ما يعتقد صاحبه أن المجتهد الذي يتم تقليده غير معصوم ، وأنه يصيب ويخطىء ، وإذا ظهر له خطأ مجتهده عدل عنه إلى الرأي المخالف الأقوى المستند إلى الدليل الشرعي .

إن التعصب المذهبي مرفوض في الإسلام جملة وتفصيلاً مهما كانت حجة الذين يتمسكون به . ولا شك أن تعصب أتباع المذاهب لمذاهبهم يشوه صورة الإسلام الناصعة التي زينتها اختلافات الأئمة التي اتسمت بالاحترام والرأي والتقدير . ويكفي أن نشير بهذا الصدد الى أن الأمر وصل أحياناً في بعض البلاد الإسلامية ـ قديما ـ أن لا يزوج الشافعي حنفياً أو العكس .

٦ ـ التهاون في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الدعوة .

(١) حديث حسن أخرجه الترمذي والبيهقي .

ويحصل ذلك بأن لا تهتم الأمة في فترة من الزمان بأمر الدين والأخذ بتشريعاته، ويتهاون الناس في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتنشأ بالتدرج عادات وقيم لا تمت للإسلام بصلة، ويزداد الأمر خطورة مع مرور السنين حينما تزداد نسبة هذه العادات غير الإسلامية، حتى يصبح المجتمع في نهاية الأمر ليس له من الإسلام إلا اسمه.

وهذا التهاون سببه الأمة كلها، لكنه إهمال له خطورته وضرره البالغ إذا كان من العلماء، ولذا تعظم خطورة مهمتهم في ظل هذه الظروف، قال تعالى: ﴿**فلولا كان من القرون من قَبلِكُم أولو بقيةٍ ينْهَونَ عن الفسادِ في الأرضِ إلا قليلاً ممن أنجينا مِنهم**﴾ [هود: ١١٦] وقال تعالى: ﴿**كانوا لا يتناهَونَ عن منكرٍ فَعَلوه لبئسَ ما كانوا يَفْعلون**﴾ [المائدة: ٧٩]

٧ ـ الادعاء بأن الدين هو أمر آخر غير العقل بطريقة توهم أن الدين ليس فيه أدلة وبراهين عقلية، وأنه بحاجة لاثبات صدقه إلى أدلة عقلية خارجة عنه. وهذا ما ظهر قديماً وما زال سائراً فيما يظهر من تقسيم الأدلة الى عقلية ونقلية. ومثل هذا التفصيل بدعة وهو فكرة دخلت على المسلمين من اللاهوت المسيحي الذي استعمل العقل اداة لدعم الدين ونصرته، لكن الأمر يختلف في الإسلام، اذ أن القرآن هو المدلول عليه وهو الدليل، وهو المشهود له وهو الشاهد، فالقرآن مليء بالأدلة العقلية التي سماها القرآن امثالاً، قال تعالى: ﴿**وتِلْكَ الأمثالُ نضرِبُها للناسِ لَعَلهُم يتفَكَّرُون**﴾ [الحشر: ٢١].

اننا ولا شك لا نقصد ان نرفض المنهج العقلي، لكننا لا نرى أي تناقض بين العقل والنقل، فالمقاييس الشرعية هي أيضاً عقلية. ولهذا كان علماء السلف لا يرون اي تناقض بين الأدلة الشرعية والعقلية، وبالعكس فهم يرون ان كل من خالف صحيح المنقول فقد خالف ايضاً صريح المعقول.

فالحجة الشرعية الصحيحة لا تناقض الحجة العقلية الصريحة، ودلالة القرآن

عقلية تماماً كما أنها شرعية .

إن الكون خلق الله والقرآن كلام الله فكيف يمكن ان يكون تناقض بين خلق الله وبين وكلامه ، والمصدر واحد . ولذا فإن ما يثار بين الفينة والأخرى من ضرورة تقديم الدين للناس على أساس عقلي بحت وإلا فإن الأجيال المعاصرة سترفضه ، إن كان هذا التصور ينطبق على الأديان الأخرى فإنه لا صلة له بالإسلام ولذا فان الأمر ليس كما يقول محمد حمدان : «إن الاعتقاد التصديقي المتأتي عن الايمان الديني ، لم يعد في الزمان الحاضر قادراً على كبت تساؤلات الفكر الانساني بسبب ما استجد من نظريات فكرية حديثة اهمها تلك التي تنسف المعتقد الديني من أساسه وتدعو لأخذ الحقائق من العقل ومما يمليه واقع الانسان الحياتي والتاريخي»(١) ويستمر المؤلف في موضع آخر عارضاً حلولاً لهذه المشكلة التي لا وجود لها أصلاً ثم يخلص إلى ما يلي : «وخلاصة القول : إن أحوج ما نحتاج إليه هو شرح الدين بطريقة فكرية تتلائم وثقافة هذا العصر لتقربه من عقول شبابنا المتعلم وتطرحه كعقيدة»(٢) .

٨ ـ الضعف العام في الوعي والتعليم الديني عند عامة الناس . ويعود ذلك إلى انحسار التعليم الديني في العالم الاسلامي ، وعدم إقبال الناس عليه نتيجة للإقبال على العلوم التي تَدُرُّ أموالاً ومادة ، الشيء الذي نتج عنه جهل واسع النطاق بين أبناء الأمة بالإسلام ، والجهل أصلُ كل داءٍ وسبب كل انحراف وخطأ ، فتمسك الناس بعادات اجتماعية لا أصل لها في الدين ظنوها مع ذلك من الإسلام ، كما تعبدوا الله بشعائر دينية لا أصل لها في الشريعة .

٩ ـ التشدد فيما يخص العبادة والحلال والحرام : ـ

وينبغي أن لا يفهم التقيد بالأوامر واجتناب النواهي والالتزام بآداب الإسلام على أنه تشدد ، اما المراد بالتشدد المذموم والمرفوض فنضرب عليه الأمثلة التالية :

(١) محمد حمدان ، الفلاسفة والفكر الاسلامي ، ص ٣

(٢) المصدر السابق ، ص ٦

أ ـ المغالاة في العبادة والطاعة زيادة على ما شرع الله ورسوله .

ب ـ التزام السنن والآداب والتعامل معها على أنها واجبات وعدُّ المكروه حراماً ، والخلط بين هذا وذاك .

جـ ـ التعامل مع الطيبات والمباحات التي أباحها الله على انها من رجس الدنيا التي ينبغي الترفع عنها ، قال تعالى : ﴿قُل مَن حَرَّم زينَةَ الله التي أخْرَجَ لعبادِه والطيبات من الرِّزق﴾ [الأعراف : ٣٢]

ويزداد الأمر سوءاً وخطورة حينما تتولى القيادات الفكرية والدينية شخصياتٌ تتصف بالصفات الآنفة الذكر ، حيث يبدأ العامة والناس بالاعتقاد ان ما يصدر عن هذه الشخصيات هو مقصود الشارع بل هو الشرع . وهذا السبب هو الذي حصل به تحريف اليهودية والنصرانية .

د ـ الخلط بين ما فعله الرسول عادة وما فعله عبادة فيحمل كل ما فعله عادةً على انه عبادة كحبه ﷺ للعسل والحلواء(١) وأنه لم يأكل لحم الضب ،(٢) فهذه عادات له عليه السلام لا يجب علينا أن نقلده فيها .

١٠ ـ التطرف في المعتقدات : فقد تطرف الخوارج في معتقداتهم فظهرت كرد فعل لها النظريات الشيعية التي تعد بمثابة تطرف ردَّ على تطرفٍ ، فمقابل تكفير الخوارج لعلي ظهر في الشيعة من يقول بتأليه علي ، وتطرف الصوفية في نظريتهم في الحلول والاتحاد .

وسبب ذلك كله الغلو في الدين الذي نهى الله عنه ، قال تعالى ﴿يا أهلَ الكتاب لا تغلوا في دينكُم ولا تَقُولوا على الله إلا الحقَّ﴾ [النساء : ١٧١] وقال جل شأنه : ﴿ قل يا أهلَ الكتابِ لا تغلوا في دينكم غيرَ الحقِّ﴾ [المائدة : ٧٧]

(١) رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ «كان يحب الحلواء والعسل» انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٤٧٩٥ .

(٢) للبخاري ومسلم واحمد والترمذي وابن ماجة عن ابن عمر قوله ﷺ «الضب لست آكله ولا أحرمه» . انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٣٧٩٣ .

١١ ـ الاجتهاد في المسائل التي لا يجوز فيها الاجتهاد ويستحيل فيها الاضافة مثل مسائل العقيدة والغيب والملائكة لأنه لا علم جديد في هذه المسائل إلا بالوحي وهذا قد انقطع .

١٢ ـ الإعراض عن الكتاب والسنة .

والحقيقة ان هذا السبب شامل لكل الأسباب الآنفة الذكر . فالإعراض عن الكتاب والسنة هو أصل الادواء كلها دونما استثناء والمعرضون عن الكتاب والسنة قسمان : ـ

أ ـ قسم لم يعترف صراحة بإعراضه عن الكتاب والسنة وهم أهل التأويل غير المشروط ، وأصحاب التكييف والتعطيل والتمثيل(١) .

والتأويل غير المشروع هو صرف الكلام عن حقيقته الى مجازه دون ضرورة . وهذا ما يسميه بعض الناس التأويل غير المشروط ، وهو ما يعتقد انه سرى من اليهود الى المسلمين . وكان قد اشتهر به بين اليهود الفيلسوف اليهودي عزرا .

ب ـ قسم أعرض واعترف باعراضه صراحة عن الكتاب والسنة كالكثير من المتصوفة ، يقول أبو يزيد البسطامي «أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت ، يقول أمثالنا : حدثني قلبي عن ربي ، وأنتم تقولون : حدثني فلان ، واين هو؟ قالوا : مات ، عن فلان واين هو؟ قالوا : مات»(٢) ويقول أبو سليمان الداراني «إذا طلب الرجل الحديث ، أو سافر في طلب المعاش ، أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا»(٣)

وقد حاول المعتزلة قبل المتصوفة إثبات عدم ضرورة اتباع السنة ، فأعلنوا صراحة أن الحسن ما حسنه العقل وأن القبيح ما قبحه العقل . لأنهم إن استطاعوا أن

(١) سيأتي بحث التكييف والتعطيل والتمثيل عند بحث الانحراف في فهم العقيدة ص٢٢ ـ ٢٥
(٢) ابن عربي ، الفتوحات المكية ، جـ ١ ، ص ٣٦٥
(٣) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٧

يبرهنوا على ضرورة عدم التقيد بالنصوص تمكنوا وقتئذ من تأويل تعاليم الكتاب والسنة كما يشاؤون وعلى أي وجه من التفكير يريدون.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الانحراف في فهم العقيدة

أهمية العقيدة :

فيما يلي بعض المؤشرات التي تدل على الأهمية البالغة للعقيدة :

١ ـ العقيدة الإسلامية هي أساس الإسلام وأساس حضارته .

٢ ـ إن أبرز ما يميز الفكر الاسلامي في مقوماته وأسسه التي تختلف عن الأديان والمبادىء الوضعية كافة هو ما يبدو في مجال العقيدة .

٣ ـ ان المواقف كافة التي تُتخذ على مستوى الفرد أو الجماعة تتأثر بشكل واضح ومباشر بما تعتقده الجماعة أو الفرد ، فهو الموجه الأساس للنشاط العام أو الخاص ، وهو أيضاً العامل الأول في إشعار الفرد بموقعه في الكون ومسؤوليته .

٤ ـ تُعد العقيدة الإسلامية العامل الأول في تحرير الإنسان من أنواع الذل والاستعباد في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، والمصدر الأول في تحرير الإنسان من الأساطير والخرافات .

لذا فإنه ليس هناك أدنى ريب في ضرورة المحافظة على هذا المصدر نقياً ، لأن قوته في نقائه وأصالته وفي ذلك كله تكمن قوة الإسلام وتميز المسلمين عن غيرهم ، فهو الخط الفاصل بيننا وبين غيرنا من الأمم ، فإن أصابه ضعفٌ اختلطت عقيدتنا بعقائد غيرنا .

لكن هل سلم فهم العقيدة الإسلامية من محاولات الانحراف التي أصابت الأديان الأخرى؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بد من مناقشة الموضوع مناقشة علمية هادئة دون انفعال ، وهذا يستلزم منا الرجوع للتاريخ أولاً ، فنحن لا نستطيع أن نجيب عن السؤال الآنف الذكر بنعم أو لا قبل عرض الحقائق أولاً

لقد تحولت العقيدة في فترة من فترات التاريخ الإسلامي إلى طريقة جدلية وفلسفات نظرية تجمدت أخيراً في مذاهب الفرق الإسلامية المختلفة . وقد كان ذلك دون ريب نتيجة الانحراف عن المسلك الصحيح القاضي أن تدفع العقيدة بالأفراد إلى إعمال إنسانية نافعة وتخلق فيهم نفسيات وعقليات سوية . وقد نشأ هذا التحول نتيجة للانحراف عن السبيل القويم لفهم العقيدة كما وردت في الكتاب والسنة .

لقد سلك بعض المسلمين ممن جاءوا بعد الصحابة والتابعين طريقاً غير صحيح حينما نقلوا بعض المسائل المتعلقة بما وراء الغيب إلى اطار التفكير العقلي مثل رؤية الله أو مسألة الصفات . وهكذا بدأ الانحراف عن المسار الصحيح عند العامة والخاصة . فعند الخاصة أصبحت العقيدة مناقشات فلسفية كلامية بحتة . أما عند العامة فغدت عقائدهم مزيجاً من العقيدة الصحيحة والخرافات والأساطير . وإنه وإن كان السبب الذي دفع بالعامة لخلط العقائد الصحيحة بغيرها مرفوضاً وهو الجهل ، فإن السبب الذي تذرع به الخاصة من حسن القصد للدفاع عن الإسلام مرفوض هو أيضاً فالغاية لا تبرر الوسيلة في الإسلام ، وكما ان الغاية مشروعة ومحدودة وهي طاعة الله ، فإن الوسيلة للغاية مشروعة ومحدودة ايضاً ، وهي طريق الكتاب والسنة . وفيما يأتي وصف مختصر لانحرافات الخاصة في فهم العقيدة :

١ ـ التعطيل : وهو إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعضه مما ورد في القرآن والسنة الصحيحة ، وتأويل ما ورد من ذلك من عند انفسهم(١) وهو انواع : ـ

أ ـ تعطيل كلي كتعطيل الجهمية (اتباع الجهم بن صفوان) الذين أنكروا جميع الصفات الإلهية .

ب ـ تعطيل جزئي كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض وأول من عرف بالتعطيل الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية وضحى به خالد

(١) لمعرفة بعض هذه التأويلات انظر ص ٦٢ .

بن عبدالله القسري ، أمير العراق والمشرق بواسط ، خطب الناس يـوم الأضحى فقال : «أيها الناس ضحوا ، تقبل الله ضحاياكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً» ، ثم نزل فذبحه(١) . وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين . وأخذ هذا المذهب عن الجعد الجهم بن صفوان ، فأظهره وناظره عليه ، واليه تنسب فرقة «الجهمية» فقتله مسلم بن أحوز أمير خراسان بها ، ثم انتقل إلى المعتزلة وظهر قولهم في اثناء خلافة المأمون ، حتى امتحن ائمة الإسلام ، ودعوهم إلى الموافقة لهم على ذلك . وأصل هذا مأخوذ عن المشركين الصابئة .

جـ ـ إثبات الصفات والأسماء لله تعالى ، لكن على اعتبار أنها مجاز لا حقيقة .

ومن الأمثلة التي تبين معنى التعطيل إنكار ان يكون لله عرش حقيقة وتأويله بالملك . وإنكار صفة الرضى لله عز وجل وتأويلها بإرادة الاحسان . وإنكـار أن يكون لله عز وجل يدان وتأويل ذلك بالقوة أو النعمة . وإنكار أن يكون لله كرسي حقيقة وتأويله بالعلم . وإنكار حقيقة المحبة والخلة بين الله والعبد . وإنكار صفة الغضب لله عز وجل وتأويلها بالانتقام . وإنكار نزول الله إلى السماء الدنيا ، وتأويله بنزول أمره أو رحمته أو ملك من الملائكة .

٢ ـ التكييف : وهو حكاية الصفة كالادعاء بأن كيفية يد الله أو نزوله إلى السماء الدنيا كذا وكذا .

٣ ـ التمثيل والتشبيه : والتمثيل هو إثبات المثل للشيء ، أما التشبيه فهو إثبات مشابه له فالتمثيل يقتضي المماثلة وهي المساواة من كل وجـه . والتشبيه يقتضي المقاربة وهي المساواة في أكثر الصفات وقد يطلق أحدهما على الآخر ، والفرق بينهما وبين التكييف هو :

أ ـ إن التكييف أن يحكي كيفية الشيء سواء أكانت مطلقة أم كانت مقيدة

(١) البغوي ، شرح السنة جـ ١ ، ص ١٨٦

بشبيه . وأما التمثيل والتشبيه فيدلان على كيفية مقيدة بمماثل أو مشابه ومن هذا الوجه يكون التكييف أعم لأن كل ممثل مكيف وليس العكس .

ب ـ ان التكييف يختص بالصفات ، أما التمثيل فقد يكون في الذات والقدر والصفة ومن هذا الوجه يكون التمثيل اعم لتعلقه بالذات والصفات والقدر .

والتشبيه الذي ضل به من ضل من الناس نوعان :

أ ـ تشبيه المخلوق بالخالق ومعناه أن يثبت للمخلوق شيئاً مما يختص به الخالق من الأفعال والصفات والحقوق كزعم المشركين أن مع الله خالقاً ، أو الصفات كفعل الغلاة في مدح النبي ﷺ أو غيره ، أو الحقوق كفعل النصارى بالمسيح والمشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها حقاً في الألوهية فعبدوها مع الله تعالى .

ب ـ تشبيه الخالق بالمخلوق ومعناه أن يثبت لله في ذاته أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوقين من ذلك القول بأن يد الله مثل أيدي المخلوقين واستواءَه كاستوائهم ونحو ذلك . ومن أوائل من تكلم في تجسيم صفات الله تعالى هشام بن الحكم وهشام الجواليقي من متكلمي الشيعة(١) .

٤ ـ الإلحاد : الإلحاد في اللغة : الميل ، وفي الاصطلاح : الميل عما يجب اعتقاده أو عمله وهو قسمان : إلحاد في أسماء الله ، وإلحاد في آيات الله .

فأما الإلحاد في أسمائه تعالى فهو العدول عن الحق الثابت لها وهو أربعة أنواع :

أ ـ أن ينكر شيئاً منها أو مما دلت عليه من الصفات كما فعل المعطلة .

ب ـ أن يجعلها دالة على تشبيه الله بخلقه كما فعل المشبهة .

جـ ـ أن يُسَمي الله بما لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له «أباً» وتسمية الفلاسفة إياه «علة فاعلة» ونحو ذلك .

(١) ابن تيمية ، المنتقى من منهاج الاعتدال ، ص ٢٤ ، وللمزيد من التفصيل انظر مقالات الإسلاميين لابي الحسن الاشعري ، ص ١٠٦ ـ ١١٢

د ـ أن يشتق من أسمائه اسماءً للاصنام كاشتقاق «اللات» من الإله و «العزى» من العزيز.

وأما الإلحاد في آياته فيكون في الآيات الشرعية وهي ما جاءت به الرسل من الأحكام والأخبار ويكون في الآيات الكونية وهي ما خلقه الله ويخلقه في السماوات والأرض.

فأما الإلحاد في الآيات الشرعية فهو تكذيب أخبارها وعصيان احكامها، وأما الإلحاد في الآيات الكونية فهو نسبتها الى غير الله او اعتقاد شريك او معين له فيها.

٥ ـ التجهيل: ونعني به ما اعتقده بعض المسلمين من أن ما جاء به الرسول ﷺ من نصوص الصفات ألفاظ مجهولة لا يعرف معناها حتى الرسول ﷺ وهذا غير صحيح من قريب أو بعيد.

إن الانحراف في فهم العقيدة كان مصدره الفرق الاسلامية. وإن هذا الانحراف وإنْ تفاوت واختلف من فرقة لأخرى غير أنه يظل مشتركاً ومتشابهاً في صفة واحدة هي بعده عن الفهم الصحيح والتصور الأصيل المستمد بوضوح ومباشرة من القرآن والسنة.

وفيما يلي عرض موجز لبعض انحرافات الفرق الإسلامية فيما يخص العقيدة(١):

١ ـ يُعتقد أن ما ابتدعه الخوارج من تكفير للمسلمين واستحلال لدمائهم وأموالهم وتمييزهم بالإمام والدار (سموا دارهم دار الهجرة) وجعلوا دار المسلمين دارين: دار كفر ودار حرب، إن هذه البدعة هي أول بدعة ظهرت في الإسلام.

٢ ـ تسوية الخوارج بين الكبائر والصغائر، ويعود ذلك لسوء فهمهم للقرآن الكريم.

(١) لمعرفة المزيد من انحرافات الفرق الاسلامية انظر «الفَرقُ بين الفِرقْ» لعبد القاهر البغدادي (من علماء القرن الخامس الهجري).

٣ ـ اعتقاد الخوارج بعدم اتباع السنة التي يظنون مخالفتها للقرآن كالرجم للزاني المحصن.

٤ ـ تكفير الخوارج لعثمان وعلي رضي الله عنهما اللذين شهد لهما رسول الله ﷺ بالجنة.

٥ ـ اعتقاد الخوارج بجواز أن يكون الرسول ظالماً.

٦ ـ اعتقاد الخوارج أن العبد يصير كافراً بالذنب.

٧ ـ اعتقاد بعض فرق الخوارج أن من لا يعرف أسماء الله وتفاصيل الشريعة فهو كافر.

٨ ـ اعتقاد أتباع عبدالكريم بن عجرد من فرق الخوارج أن سورة يوسف ليست من القرآن، لأنها في شرح العشق والعاشق والمعشوق، ومثل هذا لا يجوز أن يكون كلام الله.

٩ ـ يجوِّز أتباع ميمون بن عمران من الخوارج نكاح بناتهم ولا يرون أن الشر من الله تعالى.

١٠ ـ لا يرى أتباع خلف من الخوارج أن الخير والشر من الله تعالى.

١١ ـ يتبرأ أتباع أخنس بن قيس من كل من لا يوافقهم ويسكن في بلاد مخالفهم.

ب ـ المعتزلة: وضع أصول مذهبهم واصلُ بنُ عطاء وتابعه عمرو بن عبيد، وسموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري في أوائل القرن الثاني الهجري. ومن الضلالات التي وقع فيها المعتزلة.

١ ـ ينفي المعتزلة ان يكون الله تعالى خالقاً للشر، إذ لو خلقه ثم عذب الناس عليه لكان ذلك ظلماً، والله تعالى عادل لا يظلم. وينبني على هذا الاعتقاد أن هناك

خالقاً غير الله وأن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريد فهو إذن عاجز، وهذا مستحيل.

والحق أن المعتزلة لم يتنبهوا للتفرقة بين الفعل والخلق فالله خالق كل شيء من شر وخير، لكن الانسان هو فاعل افعاله فليس في كون الله خالقاً للشر ظلم للانسان لأن الأخير يظل فاعلاً لافعاله.

٢ ـ ينكر المعتزلة أزلية القرآن الكريم ويقولون بأنه مخلوق والقرآن (وليس المصحف) كما هو معلوم كلام الله فهو صفة من صفاته، وصفات الله تعالى كذاته أزلية لا أول لوجودها والمعتزلة بإيمانهم بعدم أزلية القرآن فرقوا بين الله تعالى وصفاته فآمنوا بأزلية الله تعالى وانكروا أزلية صفاته، وهذا مستحيل لأنه إذا كانت الصفة مخلوقة فالموصوف مخلوق أيضاً.

٣ ـ يرفض المعتزلة الإيمان بأن الله تعالى له أن يعفو عمن توعدهم من العصاة، لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يريد. تعالى الله عن هذا الافتراء، وهو سبحانه القائل ﴿**انَّ الله لا يغفر أَنْ يشركَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [النساء: ٤٨]

٤ ـ المنزلة بين المنزلتين: يرى المعتزلة أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان، لكنه لا يدخل في الكفر، فهو في منزلة بين الكفر والإيمان.

٥ ـ الأمر بالمعروف، قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا، وعملاً بذلك أجبروا المسلمين على القول بخلق القرآن.

٦ ـ يرى المعتزلة أن الله ليس خالقاً لأفعال العباد الاختيارية، بل الإنسان يخلق أفعاله وليس معنى هذا سوى أن أفعال العباد تقع بغير مشيئة الله وقدرته، والخطأ الذي جرهم إلى هذا هو عدم تفريقهم بين الخلق والفعل. فالله هو خالق كل شيء ولكنه ليس هو فاعل كل شيء. إذ الإنسان فاعل لأفعاله حقيقةً، فمثلاً: الله

هو الذي يخلق الأكل والشرب، لكن الآكل والشارب هو الإنسان.

٧ ـ قاس المعتزلة أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه، قالوا: يجب على الله أن يفعل كذا، ولا يجوز له ان يفعل كذا.

٨ ـ يرى أتباع أبي الهذيل من المعتزلة أن خالقية الله تعالى قد انتهت إلى حد لا يقدر أن يخلق شيئاً آخر.

٩ ـ يرى أتباع إبراهيم النظام من المعتزلة أن الإنسان قادر على أشياء لا يقدر الله تعالى على خلقها.

١٠ ـ هشام بن عمرو الغوطيّ وأتباعه من المعتزلة كانوا يرون تحريم قول «حسبنا الله ونعم الوكيل» لأنه لا يجوز إطلاق اسم الوكيل على الله.

١١ ـ لا يُجوّز اتباع أبي بَهْشم عبد السلام بن أبي علي الجُبائي من المعتزلة ان يعاقب الله العبدَ من غير أنْ يصدر عنه ذنب.

١٢ ـ سلك المعتزلة عموماً سبيل التفصيل في نفي النقائص عن الله تعالى، فقالوا: الله ليس بجسم وليس بشخص وليس... الخ. وفي هذا نقص في الأدب مع الله تعالى ومخالفة لطريقة القرآن المتمثلة في الاجمال في نفي النقص عنه سبحانه كقوله تعالى ﴿**ليس كمثلِهِ شيء وهو السميع البصير**﴾ **الشورى: ١١**

١٣ ـ اتصل المعتزلة بالسلطة السياسية لتفرض مفهوما معيناً على الناس كافة كما حدث في فتنة امتحان الناس والعلماء بخلق القرآن.

١٤ ـ انضوى تحت لواء المعتزلة باطنيون ويهود ومجوس.

١٥ ـ يرى المعتزلة أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والأجر وأن الكافر إذا خرج على معصية وجب عذابه على الله.

١٦ ـ يرى المعتزلة أنه يمكن أن يقع في الكون ما لا يريد الله، كما يمكن أن الله

تعالى يريد شيئاً ولا يقع . فمثلاً أراد الله تعالى من الكافر الإيمان لكنه لم يقع منه إلا الكفر، وأراد الله تعالى من الفاسق الطاعة لا الفسق ، بل ذهب المعتزلة إلى أكثر من ذلك فزعموا أن أكثر ما يقع من الناس على خلاف مراد الله ، وقالوا أيضاً : إن إرادة القبح قبيحة ، والله تعالى منزه عن القبائح .

ولا ريب ان المعتزلة في دعاويهم هذه لم يتنبهوا إلى التمييز بين الأمر والمحبة ، وهذه لا تكون إلا في الخير وبين الارادة التي قد تكون في الخير وقد تكون في الشر . فهم بذلك لم يفرقوا بين الإرادة الدينية وهي التي ترادف الرضا والمحبة، والإرادة الكونية وهي الإرادة الخَلْقية ، فالله تعالى قد يقع في ملكه ما لا يحب ولكن لا يقع في ملكه ما لا يشاء .

١٧ ـ تقديس المعتزلة للعقل حتى قالوا : الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل . وأهل السنة يقولون : الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع .

١٨ ـ آمن المعتزلة بأن ذات الله وصفاته شيء واحد ، وأن معنى الذات هو معنى الصفات فالله عندهم حي عالم قادر بذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة زائدة على ذاته . وأهل السنة يقولون : إن الصفة وإن كانت غير منفصلة عن الموصوف إلا أن معناها غير معنى الذات الموصوفة .

جـ ـ الجبرية :

١ ـ يعتقد أصحاب جهم بن صفوان من الجبرية أن العبد ليس قادراً البتة بمعنى أنه مسير تماماً ، على الرغم من أن النصوص صريحة بأن للعبد قدرةً وإرادة . فأفعال الناس في نظرهم كلها لله ولا دخل للإنسان فيها ، فهي كلها أفعال اضطرارية لا إرادة للانسان في أي منها في حين ان الإنسان غير مجبر على افعاله .

٢ ـ يرى أتباع يونس بن عوف وأتباع غسان الحرمي من المرجئة أن الإيمان لا

يقبل الزيادة والنقصان وهذا مخالف لصريح نصوص الكتاب والسنة التي أثبتت زيادة الإيمان ونقصانه.

د ـ المرجئـــة :

١ ـ ترى المرجئة عموماً أن الإيمان هو المعرفة بالله سبحانه وتعالى، فمن أقرَّ بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مؤمن، أي أنهم لم يشترطوا العمل مع الإيمان وهذا في الواقع مخالف لنصوص القرآن.

٢ ـ اعتقد المرجئة بأنه لا أهمية ولا أثر للمعاصي طالما وجد الإيمان. وأنه لا يضر مع الإيمان معصية وأن الله لا يعذب الفاسقين من الأمة. وهذا غير صحيح، فإن الله تعالى قد يعفو عن بعض الفساق، لكننا لا نقطع على شخص معين منهم بأن الله لا بد أن يعفو عنه.

مساهمة علم الكلام في تحريف فهم العقيدة :

بعد أن توسّعت ديار الإسلام إثر الفتوحات اتصل المسلمون بأمم وشعوب أخرى، ونتيجة لهذا الاحتكاك فتح باب الحوار والجدل حول عقائد الطرفين. وبالتدريج نشأ علم سمي بعلم الكلام وسمي المشتغلون به بالمتكلمين كالمعتزلة والأشاعرة.

فعلم الكلام هو علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأمور المعاد كالجنة والنار. وبشكل عام هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية وإثباتها بطرق عقلية محضة.

ولقد كانت غاية المتكلمين ولا شك الدفاع عن الإسلام في وجه أعدائه وخصومه. وقد اتخذ هؤلاء المتكلمون القرآن الكريم أساساً يبنون عليه أحكامهم لكنهم اتبعوا وسيلة غير وسائله في الدفاع عن الإسلام، وبهذا نشأ منهج جديد يخالف منهج القرآن والحديث، ويخالف منهج الصحابة والتابعين وتابعيهم.

انحرافات المتكلمين :

١ ـ «اعتمادهم في إقامة البرهان على الأساس المنطقي لا على الأساس الحسي . بحيث جعلوا المسلم في حاجة إلى أن يتعلم المنطق حتى يستطيع إقامة البرهان على وجود الله . ومعنى ذلك أن من لا يعرف المنطق يعجز عن البرهنة على صحة عقيدته .

٢ ـ خروجهم على الواقع المحسوس وتجاوزهم إلى غير المحسوس . فقد بحثوا فيما وراء الطبيعة في ذات الله وصفاته ، فيما لا يصل إليه الحس وأفرطوا في قياس الغائب على الشاهد ، أعني في قياس الله على الإنسان فأوجبوا على الله العدل كما يتصوره الإنسان .

٣ ـ اعطاؤهم العقل حرية البحث في كل شيء فيما يحس وما لا يحس ، ثم جعله أساس البحث في الإيمان كله ، فترتب على ذلك كله أن جعلوا العقل أساساً للقرآن ولم يجعلوا القرآن أساساً للعقل»(١) .

٤ ـ لم يقتنع المتكلمون بالإيمان بالمتشابه من القرآن الكريم فسلطوا العقل على النصوص واستنتجوا لأنفسهم آراءً ومفاهيم غريبة عن فهم الصحابة لنصوص العقيدة .

٥ ـ أما الآيات القرآنية التي تتعارض مع ما توصلوا إليه فعمدوا إلى تأويلها ، ولذا فقد اتسم منهج المتكلمين بالتأويل .

٦ ـ ومظهر آخر من مظاهر انحراف المتكلمين هو أن غايتهم بعد أن كانت الدفاع عن الإسلام انقلبت ، فلم تعد سوى الغلبة ضد بعضهم البعض وهكذا أصبح الجدل الكلامي مجالاً للصراع بين المتكلمين .

٧ ـ والحقيقة ان المتكلمين لم يخطئوا في أنهم اعتمدوا على قواعد عقلية ، وإنما أخطأوا لأن هذه القواعد العقلية لم تكن مستنبطة من القرآن والحديث ، مما أدى بهم إلى نتائج مخالفة لعقائد الصحابة والسلف .

(١) سميح عاطف الزين ، الإسلام وثقافة الإنسان ، ص ٧١ ـ ٧٢

الفلسفة الإسلامية :

الفلسفة الإسلامية مظهر آخر من مظاهر انحراف المسلمين ونحن نسميها إسلامية مجازاً وإلا فهي إلى حد بعيد صدى للفكر اليوناني ، وكما يشير الدكتور محمد البهي «دون أن يقدم جديداً أو حتى دون أن يهضمه»(١) .

ومن حسن الحظ أن المسلمين أدخلوا الفلسفة اليونانية على الفكر الإسلامي بعد قرنين كاملين من ظهور الإسلام ، وبعد أن اكتملت مقومات هذا الفكر ، وإلا لكان الأمر خلاف ما نشتهي ونحب .

والحقيقة أننا لسنا ضد العقل وإن كنا ضد الفلسفة . وليس من الضروري أن من يحمل موقفاً ضد الفلسفة أن يحمل موقفاً يكون معادياً للعقل . ففي الفلسفة أبحاث كثيرة يعدها الإسلام كفراً منها ما يلي :

١ ـ القول بقدم العالم وأنه ازلي .
٢ ـ القول أن نعيم الجنة روحاني لا مادي .
٣ ـ القول أن الله يجهل الجزئيات .

إن مظاهر التعارض بين الفلسفة والإسلام كثيرة منها :

١ ـ من حيث الموضوع : فإن الفلسفة تبحث في ما وراء الكون والطبيعة في حين أن الإسلام بحصره للبحث العقلي في المحسوسات ، ومنعه العقل من أن يبحث في ما وراء الكون يجعلان أبحاثه كافة بعيدة عن الفلسفة ، سائرة في غير طريقها . وليس في الإسلام سوى بحث في القرآن الكريم والسنة النبوية ، فهما وحدهما أصل الإسلام عقيدةً وأحكاماً وأمراً ونهياً واختباراً .

٢ ـ من حيث الوسيلة : فالفلاسفة يبحثون المسائل بحثاً مجرداً كما يدل عليها البرهان . والإلهيات ليست استثناء من ذلك .

(١) محمد البهي ، محاضرات في الفكر الإسلامي ، ص ١٣

ولقد حاول الفلاسفة المسلمون أمثال الكندي والفارابي وابن سينا التوفيق بين الفكرين الإسلامي واليوناني لكن دون جدوى. ولم يفد من هذه المحاولات أي من الفكرين. ولا شك أن هذه نتيجة منطقية، فإن من أهم أسباب التناقض بين الطرفين هو التصادم والتناقض في مجال الغيبيات والإلهيات. فكان من المستحيل التوفيق بين فكر مصدره الإله وفكر مصدره الإنسان!!

ولم يقتصر الأمر على الموضوع بل شمل الغاية، فكما أن موضوع أبحاث الفلاسفة المسلمين كانت أبحاثاً فلسفية لا علاقة للإسلام بها فكذلك غايتهم لم تكن الدفاع عن الإسلام، بل كانت أبحاثاً فلسفية مجردة، كما أن تأثرهم بالأفكار اليونانية يبدو واضحاً في كتاباتهم.

دور التصوف في تحريف فهم العقيدة:

١ ـ نشأت الحركة الصوفية في منتصف القرن الثاني الهجري وبلغت الذروة بعد مئة وخمسين عاماً تقريباً من ذلك التاريخ، أي في أواخر القرن الثالث، وأصبحت ديناً عاماً للكثير من المسلمين في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر.

٢ ـ إن رائد الفكر الصوفي هو إبراهيم بن أدهم المتوفى سنة ١٦١ هـ. كما أن أول من لقب من الزهاد بالصوفي هو أبو هاشم المتوفى سنة ١٥٠ هـ.

٣ ـ التصوف ليس إبداعاً إسلامياً، بل هو فكرة فلسفية قديمة كان لها فلاسفة في اليونان والهند وفارس. فقد وجد متصوفة في الديانات التي سبقت الإسلام كالبوذية والهندوسية واليهودية والمسيحية.

٤ ـ كما أن التصوف ليس هو الزهد، فالتصوف فلسفة كاملة شاملة وعقيدة لها حدودها ومعالمها الخاصة بها.

٥ ـ لقد قرن ابن تيمية التصوف بالرأي وعلم الكلام كألوان من البدع لم تُعرف لدى القرون الأولى.

٦ ـ يرجع ظهور التصوف إلى عاملين :

أ ـ ظهور سلطان الموالي من غير العرب ولا سيما الفرس .

ب ـ ترجمة كتب الفرس والروم والهند .

٧ ـ والفكر الصوفي هو من أخطر ما يجابه المسلمين في الوقت الحاضر من مشكلات ، فمشكلة الفكر الصوفي هي مشكلة عقدية . ولا شك أن المشاكل الاعتقادية هي من أخطر أنواع المشاكل التي يمكن أن تواجهها أمةٌ ، لِمَا ينشأ عنها من اضمحلال بقية أوجه الحياة ، فلا عجب أن نرى أن القرون الثلاثة التي أشرنا اليها آنفاً والتي أصبحت فيها العقيدة الصوفية ديناً لأغلبية المسلمين ، رمزاً للظلام والجهل يتبعها استعمار أوروبا للعالم الإسلامي . ولا عجب أيضا أن نرى اهتمام الغرب الاستعماري المستمر ببعث التراث الصوفي الإسلامي وبخاصة دوائر الاستشراق هناك .

ويمكن الإشارة إلى أهم انحرافات التصوف فيما يلي :

١ ـ مصدر التلقي :

فاضت كتب الصوفية وأقوالهم في ذم العلم والتعليم وكتابة الحديث . لذلك نجدهم من أعظم الناس جهلاً فيما أنزل الله على رسوله ، فهم يزعمون أن لديهم علوماً أخرى غير علوم الشريعة من وضعهم واختراعهم ، فهي علوم خاصة بهم لا يمكن لعلماء الشريعة أن يصلوا إلى شيء منها مهما بلغ علمهم ، وفي نظرهم أن علومهم أفضل من الكتاب والسنة . بل إن الكتاب والسنة مشغلة عن طريقهم ومسلكهم ، لذا فإنهم يرون وجوب ترك علم الشريعة وينفرون منه .

والمتصوفة يحكمون على الإسناد بعلمهم الخاص ، فيصححون ما شاؤوا من الأحاديث وإن كانت ضعيفة عند أئمة الإسناد والمحدثين ويُضعّفون ما شاؤوا منها وإن كانت ثابتة صحيحة . ويتم تصحيحهم للضعيفة او تضعيفهم للصحيحة عن

طريق الكشف(١)، إذ يتصلون رأساً بالنبي ﷺ كما يزعمون ويصححون الحديث أو يضعفونه. يقول شيخ الصوفية في القرن العشرين الشيخ عبد الحليم محمود «وابن سينا حينما أراد أن يحدد طريق البصيرة حتى يصير سر الإنسان مرآة مجلوة لم يحدده بقراءة وبحث وإنما حدده بإرادة ورياضة(٢). ويقول أيضاً: «فالأنبياء والأولياء إنما انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعليم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا»(٣).

إن طريق العلم عند الصوفية هو طريق القلب، فبالمجاهدة والصبر يحصل العلم للمسلم، فيعرف كل شيء عن أحكام القرآن والسنة، وهذا مخالف للحقيقة التي مفادها أن العلم في الإسلام بالتعليم وسلوك أسباب العلم إذ من المحال أن يتعلم المسلم بالصبر والصيام.

وبينما يجمع المسلمون على أن علوم الشريعة تتلقى بطريق الوحي وتتناقلها الأجيال بالتعليم والتعلم، نرى الصوفية يزعمون أن علوم التصوف تتلقى بالكشف وأنها تحصل بالمجاهدة والرياضات الروحية والبدنية.

٢ ـ مفهوم المتصوفة للتوحيد:

في الوقت الذي يرى فيه المسلمون أن مراتب التوحيد هي توحيدُ الربوبية وهو الاعتقاد بأن الله خالق كل شيء وأنه ليس للعالم خالقان متكافئان في الصفات والأفعال، وتوحيد الألوهية وهو عبادة الله وحده، لا شريك له، فإن الصوفية يخالفون في هذا الفهم ويرون أن التوحيد ينقسم إلى نوعين: توحيد العامة ويقصدون به توحيد الإلهية، وتوحيد الخاصة وهو الذي ينتهي بصاحبه إلى الفناء والاتحاد مع الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً. ومن هنا فقد شذ الصوفية عن أهل السنة والجماعة في

(١) وقد تكلم رداً على تصحيح الأحاديث عن طريق الكشف الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تعليقه على كتاب علي القاري «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» بيروت، ١٩٨٤ (الصفحات ٢١٥ ـ ٢١٨ و ٢٧٣) حيث فند حجج القائلين بـ «التصحيح الكشفي» و «التضعيف الكشفي».

(٢) عبد الحليم محمود، المرسي أبو العباس ص ١٧

(٣) المصدر السابق، ص ٢٤.

هذه النظرة. يقول قائلهم بهذا الخصوص: «اللهم زج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، واغرقني في عين بحر الوحدة»

٣ ـ مذهب وحدة الوجود:

ويُقصد بوحدة الوجود أن الله هو عين هذا الكون وأن الخالق والمخلوق لا فرق بينهما، ويقصد بالحلول أن الله حلَّ في مخلوقاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

والحق أن الحلاج (١) وإن كان أول من نادى بفكرة الحلول من الصوفية إلا أنه سبقته إليه فرقة السبئية التي قالت: إن علياً صار إلهاً بحلول روح الإله فيه. وقد نادى بعقيدة وحدة الوجود وما زال ينادي بها الكثير من الصوفية، على أن الذي طور المفهوم الصوفي لوحدة الوجود (وهي ذات أصل هندوسي) هو ابن عربي، الذي حكم الكثير من أئمة الإسلام بتكفيره ومنهم ابن حجر وابن تيمية، ويظهر ذلك جلياً في كتابيه «الفتوحات المكية» «وفصوص الحكم» اللذين يتدارسهما الصوفية في مجالسهم. ولقد ترتبت على عقيدة وحدة الوجود أمور خطيرة منها: ـ

أ ـ نشأت جبرية صارمة وتم التقريب بين الخير والشر والكفر والإيمان والثواب والعقاب، فسقط الالتزام الخلقي ورفع الصوفية التكاليف الشرعية عنهم مما تسبب في آثار سلبية على الدين والأخلاق، فأصبح العبد رباً والربُّ عبداً، والخير شراً والشر خيراً. واذا كان الأمر كذلك فمن المُكَلَّفُ؟ يقول ابن عربي:

الرب حق والعبد حق ... يا ليت شعري من المُكَلّف؟
إن قلت عبدٌ فذاك حق ... او قلت رب انى يُكَلّفُ(٢)

ب ـ أدى الاتجاه والميول الجبري والذي نشأ عن وحدة الوجود إلى انحسار المد الحضاري الإسلامي حينما تقاعس المسلمون عن الجهاد.

جـ ـ إنكار علو الله واعتقادهم أنه موجود في كل مكان، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) من أشهر من نادى بوحدة الوجود ابن مسرة وابن عربي وعبدالله الشوذي الاشبيلي.
(٢) ابن عربي، الفتوحات المكية، جـ ١، ص ٢

٤ ـ تقديس الأولياء والشيوخ :

من الأسس التي يقوم عليها التصوف تقديس الأولياء والشيوخ ، وهذا خلاف ما جاء به الإسلام وهو إفراد الله عز وجل بالقداسة والتعظيم. ولذلك كان أول الدخول إلى حظيرة التصوف أن يسلم الداخل فيه نفسه للشيخ المربي تسليم الميت إلى غاسله ، وعليه أن يؤول أفعال شيخه وإن كان ظاهرها المعصية .

والكثير من المتصوفة يفضلون الولي على النبي ، وفي مقدمتهم ابن عربي الذي أوَّلَ الولاية بما يفيد عدم ختم النبوة ، وفي هذا مخالفتان صريحتان لما نصت عليه العقيدة الإسلامية من أفضلية الأنبياء على الأولياء ، ومن ختم النبوة بالرسول محمد ﷺ .

٥ ـ تقسيم المتصوفة الدين إلى حقيقة وشريعة ، أو ظاهر وباطن. وإخضاع الشريعة للحقيقة (التصوف) . وقد أعطى ذلك تصوراً معيناً مفاده الاعتراف بشيء غير الشريعة في الدين .

وعلم الباطن لدى الصوفية هو أهم العلوم ، ولا يعنون به إصلاح حال القلوب كما يظن بعض الناس ، بل هو لديهم علم خاص تكشف به حقائق معينة ، وهم يتفاوتون في إظهار هذا العلم الباطني ، ويرون أن طريق الهداية هو طريق الهواتف في حين أن طريقة الهداية في الإسلام هي طريق الكتاب والسنة .

٦ ـ إن الهداية الصوفية تحمل الفرد على هجران الدنيا ، وهذا مخالف للنصوص التي تفيد أنه ليس من شروط الهداية في الإسلام ترك الدنيا وهجرانها .

٧ ـ فيما يلي شواهد من أقوال وأفعال الصوفية تدل على احتقارهم لطلب العلم الشرعي والعمل وتعلق قلوب كثير منهم بالغلمان وزعمهم بلوغ ما بلغه الأنبياء :

أ ـ عن أبي سليمان الداراني انه قال: اذا طلب الرجل الحديث أو سافر في

طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا[1].

ب ـ قال الشافعي رضي الله عنه : «أُسس التصوف على الكسل»[2].

جـ ـ وعن إدريس بن إدريس قال : حضرت بمصر قوما من الصوفية. ولهم غلام أمرد يغنيهم قال: فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال: يا هذا قل لا إله إلا الله، فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أُقبِّل الفم الذي قال لا إله إلا الله[3].

د ـ وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول: لي معراج كما كان للنبي ﷺ معراج فأخرجوه من بسطام[4].

هـ ـ حُكي عن عمرو المكي أنه قال: كنت أماشي الحسين بن منصور في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتي فقال يمكنني أن أقول مثل هذا ففارقته[5].

و ـ قال النوري أنا أعشق الله والله يعشقني[6].

ز ـ ابراهيم الخواص: حدثني أخ لي كان يصحب أبا تراب نظر إلى صوفي مدَّ يده إلى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام، فقال له تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف.

ح ـ صنف أبو عبد الرحمن السلمى كتابا سماه سنن الصوفية فقال في أواخر الكتاب: باب في جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى وجه الحسن. وذكر فيه ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه، وأنه قال: ثلاثة تجلو البصر: النظر الى الخضرة والنظر الى الماء والنظر الى الوجه الحسن[7].

طـ ـ عن يوسف بن الحسين أنه قال: إذا رأيت المريد يشتغل بالرُخص والكسب فليس يجيء منه شيء[8].

---

(١) ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص ٢٩٥
(٢) المرجع السابق، ٣٢٠
(٣) المرجع السابق، ٢٧٣
(٤) المرجع السابق، ١٦٧
(٥) المرجع السابق ١٧١
(٦) المرجع السابق ١٧٣
(٧) المرجع السابق ٢٦٠ وهما حديثان ضعيفان!
(٨) المرجع السابق، ٢٨١

ل ـ عن أبي سعيد الكندي قال كنت أنزل رباط الصوفية واطلب الحديث في خفية بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة يوماً من كمي فقال لي بعض الصوفية استر عورتك [1] وكان الشبلي يقول:

اذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق [2]

ك ـ كان سهل بن عبد الله إذا مرض أحد من أصحابه يقول له: إذا أردت ان تشتكي فقل أوه فهو اسم من اسماء الله تعالى يستريح اليه المؤمن ولا تقل أفرج فانه اسم من اسماء الشيطان [3].

م ـ عن أبي يزيد البسطامي انه قال: وددت ان قد قامت القيامة حتى انصب خيمتي على جهنم فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد فقال: اني أعلم أن جهنم اذا رأتني تحمد فأكون رحمة للخلق [4].

ن ـ جاء في ترجمة الصوفي الكبير علي وحيش «وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الحمار يقول له: امسك رأسها حتى افعل فيها. فإن ابى شيخ البلد تسمر في الارض لا يستطيع ان يمشي خطوة. وان سمع حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه» [5].

الشيعـــة:

الشيعة فرق وطوائف كثيرة نتحدث فيما يلي عن انحرافات أشهرها وأهمها وهم الشيعة الإثنا عشرية:

١ ـ استقلت الشيعة بمصادر الحديث والفقة عن أهل السنة والجماعة مثل

---

(١) المرجع السابق، ٣٢٩

(٢) يريد بعلم الورق علم الشريعة لانه مكتوب على ورق، ويريد بعلم الخرق علم التصوف من الخرقة الصوفية.

(٣) تلبيس ابليس، ص ٣٤٠

(٤) المرجع السابق، ص ٣٤١

(٥) الطبقات الكبرى جـ ٢، ص ١٣٥

كتاب نهج البلاغة المنسوب(١) لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه والكافي وهو عندهم بمنزلة البخاري عند أهل السنة .

٢ ـ من التحريف الذي أدخله الشيعة افتراضهم أن الإمامة هي أهم مسألة من مسائل أصول الدين ، والواقع أنها ليست كذلك .

٣ ـ تقول الشيعة بعصمة الأئمة عن الصغائر والكبائر وعلمهم بكل شيء ووجوب الرجوع إليهم في جميع ما جاء به الرسول . وأنهم يمتازون عن سائر البشر في فهم الكتاب والسنة وأنهم كذلك مشرعون .

٤ ـ يرى الشيعة أن الصحابة ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ إلا ثلاثة وقيل : إلا سبعة(٢) . كما يرون أن الصحابة لم يتلقوا إلا جزءاً من الشريعة .

٥ ـ من عقيدة الشيعة الولاء والبراء ، الولاء للأئمة والبراء من أعدائهم [ويعنون بهم أهل السنة] .

٦ ـ يعتقد الشيعة أن دين أهل السنة ناقص لا يكتمل إلا إذا اعتنقوا مذهب أهل البيت .

٧ ـ إن الأحكام في نظر الشيعة لم تضبط جميعها إلا من قبل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٨ ـ يرى أئمة الشيعة وكبار علمائهم أن القرآن الموجود بيننا مختلف عن مصحف فاطمة الذي جمعه علي وأراد تبليغه للناس(٣) وهو أمر قليلاً ما يحدثون به عوامهم .

٩ ـ يرى الشيعة أنه لا يجوز لشيعي أن يتزوج سنيه أو يزوِّج سنياً .

١٠ ـ يرى الشيعة عدم صحة الصلاة وراء السني إن كانت مكتوبة ، وأما إذا

(١) وقد انكر نسبته اليه الحافظ الذهبي كما في ترجمة الشريف المرتضى من «ميزان الاعتدال»
(٢) الكليني، الكافي، ٢٢٧ ـ ٢٥٨
(٣) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ١/١٥

كانت تطوعاً فله خمس وعشرون درجة لا سبع وعشرون درجة .

١١ ـ يعتقد الشيعة بالتقية بمعنى إظهار غير حقيقة ما يعتقدون وما يريدون أمام الخصم كي يستطيعوا قضاء مآربهم وما يبيتون .

الشيعة وتحريف القرآن :

يعتقد علماء الشيعة بأن القرآن الذي جاء به جبريل ليس هو القرآن المعروف . يقول البحراني المفسر الشيعي المشهور (ف ١١٠٨ هـ) «اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الاخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله شيء من التغييرات»[١] ويذكر مؤلف كتاب الكافي وهو عند الشيعة بمنزلة البخاري عند أهل السنة ما نصه «ان القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد عليه السلام سبعة عشر الف آية»[٢] .

ونورد فيما يلي نموذجاً من قرآن فاطمة الذي يعتمده الشيعة ، ففي كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الارباب»[٣] أورد المؤلف سورة يزعم أنها سقطت من القرآن الكريم كما يلي :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم
نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم إن الذين يوفون ورسولي في آياتهم جنات نعيم
والذين كفروا من بعد ما آمنوا بفضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يفتدون في الجحيم
ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حميم إن الله الذي نور السموات والأرض
بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله
إلا هو الرحمن الرحيم قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم

---

(١) تفسير البحراني ، من مقدمة كتابه تحت عنوان «بيان ما يوضح وقوع بعض تغيير في القرآن»
(٢) الكافي ، كتاب فضل القرآن
(٣) النوري الطبرسي ، فصل الخطاب ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ عَادًا وَثَمُودَ بِمَا كَسَبُوا وَجَعَلَهُمْ لَكُمْ تَذْكِرَةً فَلَا تَتَّقُونَ وَفِرْعَوْنَ بِمَا عَصَى عَلَى
مُوسَى وَأَخِيهِ هَرُونَ أَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ تَبِعَهُ أَجْمَعِينَ لِيَكُونَ لَكُمْ آيَةً وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ إِنَّ
اللَّهَ يَجْمَعُهُمْ فِي يَوْمِ الْحَشْرِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْجَوَابَ حِينَ يُسْئَلُونَ إِنَّ الْجَحِيمَ مَأْوَاهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ إِنْذَارِي فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ لَتَذْخَرَنَّ الَّذِينَ كَانُوا عَنْ آيَاتِي وَحُكْمِي مُعْرِضُونَ مَثَلُ
الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِكَ إِنِّي جَزَيْتُهُمْ جِنَانَ النَّعِيمِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ عَظِيمٍ وَإِنَّ عِبَادِيَ
الْمُتَّقِينَ وَإِنَّا لَنُوَفِّيهِ حَقَّهُ يَوْمَ الدِّينِ مَا نَحْنُ عَنْ ظُلْمِهِمْ بِنَا فِلِينَ وَكَرَّمْنَاهُ عَلَى أَهْلِ الْمَلَلِ أَجْمَعِينَ فَإِنَّهُ
وَذُرِّيَّتَهُ لَصَابِرُونَ وَإِنَّ عَدُوَّهُمْ إِمَامَ الْمُجْرِمِينَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَمَا آمَنُوا أَطَلَبْتُمْ
زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاسْتَعْجَلْتُمْ بِهَا وَنَسِيتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَنَقَضْتُمُ الْعُهُودَ
مِنْ بَعْدِ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ ضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ قَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِيهَا مَنْ يُوَفَّاهُ مُؤْمِنًا وَمَنْ يُوَلِّيهِ مِنْ بَعْدِكَ يُظْهِرُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ
إِنَّهُمْ مُحْضَرُونَ فِي يَوْمٍ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُرْحَمُونَ إِنَّ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَقَامًا عَنْهُ لَا يَعْدِلُونَ
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَهَرُونَ بِمَا اسْتُخْلِفَ فَبَوَاهُرُونَ
قَصْرَ جَبَلٍ فَجَعَلْنَا مِنْهُمُ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَلَعَنَّاهُمْ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ فَاصْبِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ
وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي الْحُكْمَ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَجَعَلْنَا لَكَ مِنْهُمْ وَصِيًّا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
وَمَنْ يَتَوَلَّ عَنْ أَمْرِي فَإِنِّي مَرْجِعُهُ فَلْيَتَمَتَّعُوا بِكُفْرِهِمْ قَلِيلًا فَلَا تَسْئَلْ عَنِّي لَنَا كِبِينَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
قَدْ جَعَلْنَا لَكَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ آمَنُوا عَهْدًا فَخُذْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ إِنَّ عَلِيًّا فَانِيًا بِاللَّيْلِ
سَاجِدًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو ثَوَابَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ ظَلَمُوا وَهُمْ بِعَذَابِي يَعْلَمُونَ سَيَجْعَلُ
الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ يَنْدَمُونَ إِنَّا بَشَّرْنَاكَ بِذُرِّيَّتِهِ الصَّالِحِينَ وَإِنَّهُمْ لِأَمْرِنَا لَا
يُخَالِفُونَ فَعَلَيْهِمْ مِنِّي صَلَوَاتٌ وَرَحْمَةٌ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا يَوْمَ يُبْعَثُونَ وَعَلَى الَّذِينَ يَبْغُونَ عَلَيْهِمْ
مِنْ بَعْدِ لِسَخَطِي إِنَّهُمْ قَوْمُ سَوْءٍ خَاسِرِينَ وَعَلَى الَّذِينَ سَلَكُوا مَسْلَكَهُمْ مِنِّي رَحْمَةٌ دَهْمٌ فِي الْغُرُفَاتِ
آمِنُونَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞

انحراف الأشاعرة :

يمكن الاشارة إلى بعض ما وقع من الاشاعرة من انحرافات في العقيدة كما يأتي[1] :

١ ـ مصدر التلقي عند الأشاعرة هو العقل وقد صرح كثير من ائمتهم بتقديم العقل على النقل (نصوص الكتاب والسنة) عند التعارض.

٢ ـ موقفهم من السنة أنه لا يثبت بها عقيدة بل المتواتر منها يجب تأويله وأحادها لا يجب الاشتغال بها حتى على سبيل التأويل.

٣ ـ فرّق الاشاعرة بين معنى القرآن ولفظه، فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى ازلي أبدي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا الإنشاء. أما الكتب المنزلة ذات الترتيب والنظم والحروف ـ ومنها القرآن ـ فليست هي كلامه تعالى على الحقيقة بل هي عبارة عن كلام الله النفسي. والكلام النفسي شيء واحد في ذاته، وهكذا فإنَّ التوراة والانجيل والقرآن كلها مخلوقة، ووصفها بانها كلام الله مجاز لأنها تعبير عنه فقط.

٤ ـ اثبتوا لله تعالى سبع صفات ونفوا الباقي عنه.

٥ ـ وقعوا في تناقض حينما اثبتوا الرؤية لله تعالى ونفوا صفة العلو فناقضوا أنفسهم حينما أثبتوا الرؤية ونفوا ما تستلزمه وهو الجهة، وقد أولوا علو الله بالقهر والغلبة ومنهم من قال استوى بمعنى استولى.

٦ ـ زعم الأشاعرة أن الصفات الاختيارية كالخلق والرزق لم يكن الله متصفاً بها في الأزل وإنما اتصف بها بعد خلق الخلق.

---

(١) اختصرت معظم هذه النقاط من محاضرة بعنوان «منهج الاشاعرة في العقيدة» لسفر بن عبد الرحمن الحوالي من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٧ ـ أما بخصوص القدر فقد أراد الأشاعرة أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية فجاؤا بنظرية الكسب وهي في مآلها جبرية خالصة لأنها تنفي أي قدرة أو تأثير للعبد.

٨ ـ اما التأويل فهو أصل منهجي من اصول الاشاعرة وليس خاصاً بمبحث الصفات بل يشمل أكثر نصوص الايمان. والتأويل ضروري للأشاعرة، لأنه لما تعارضت عندهم الاصول العقلية التي قرروها مع النصوص الشرعية وقعوا في مأزق رد الكل أو أخذ الكل فوجدوا في التأويل مهرباً عقلياً ومخرجاً من التعارض.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الانحراف في ممارسة العبادة

ما من ريب أن العبادة هي من أهم أسباب صلة العبد بربه، ولذا فقد بينها الشرع وحددها بشكل دقيق. فكان من غير الجائز على الإطلاق في مسائل التعبد والتقرب إلى الله عز وجل إلا اتباع المشروع والتقيد بالكتاب والسنة، فلا يعبد الله تعالى إلا بما شرع، والأدلة على ذلك كثيرة منها:-

١-قوله تعالى: ﴿اليومَ أكملتُ لكُم دِينَكُم﴾ [المائدة: ٣]

٢-قوله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١)

٣-قوله ﷺ: «. . . وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»

٤-قوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رَدٌّ»(٢)

وهكذا فإن الله تعالى لا يريد من عباده أن يعبدوه ويتقربوا إليه فحسب، بل يريد منهم أن يكون ذلك كما يريد هو وكما شرع هو، لا كما نريد نحن أو نحب.

وإذا كانت القاعدة الفقهية «الأصل في الأشياء التخلية ما لم يرد دليل الحظر»، فإن الأصل في العبادات الحظر ما لم يرد دليل الوجوب أو الاباحة.

إننا نستطيع القول إن المساس بالعبادة في الإسلام قد أخذ أوجهاً متعددة. وحينما نقول المساس بالعبادة، لا نعني كما جاء بها الإسلام، بل ما هي عليه ممارسات المسلمين، وهذه الأوجه هي كما يلي:-

١-ما حدث من إضافات جديدة للعبادة سواء إضافة هيئات جديدة، أو صور

---

(١) طرف من حديث صحيح رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه.
(٢) متفق عليه (البخاري ٢/١٦٦ ومسلم ٥/١٣٣)

جديدة لأي نوع من أنواع العبادات، وهناك قائمة ببعض هذه الإضافات يجدها القارىء في نهاية هذا البحث.

٢ـتشويه تصور العبادة عند كثير من الناس كما يلي:

أـاعتقاد قسم منهم أن الإسلام هو فقط الصلوات الخمس والصيام والحج فغدا معنى العبادة عندهم ضيقاً. فالعبادة بمفهومها الواسع كما وردت في قوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ الذاريات: ٥٦ هي الطاعة لكل أوامر الله واجتناب نواهيه، فهي الإسلام كله. وهذه الشعائر بالتالي ليست سوى جزء يسير من العبادة.

بـاعتقد القسم الآخر أن العبادة هي الإسلام كله، لكن ممارسته وواقع حياته العملي والسلوكي كالفريق الأول، فهو لا يُحَكّم الإسلام في واقع حياته ويفضل الاقتصار على العبادة بمعناها المحدود.

وهكذا تم الفصل عند الكثير من المسلمين بين العبادة وبقية اجزاء النظام الإسلامي الشامل. هذا الفصل الذي أكد ﷺ رفضه بأحاديث منها «من لم يَدَع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يَدَعَ طعامَه وشرابه»(١).

٣ـالقيام بعبادات نهى عنها الشرع صراحة وحرمها بل عدها شركاً كالحج لقبور الصالحين والنذر لهم.

٤ـالاحتفال بمناسبات دينية وأيام معينة من اختراع الناس كالاحتفال بذكرى المولد وذكرى الهجرة وذكرى الإسراء والمعراج.

٥ـالانحراف في فهم دور القرآن الكريم، فأصبح كلام الله يتلى طلباً للبركات وتحصيناً للأموال والأولاد فقط لا طلباً للهداية أصلاً.

٦ـأصبحت الطاعات عادات لا عبادات تبعث على التقوى، ولم تعد العبادة

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود عن أبي هريرة، (صحيح الجامع ٦٤١٥)

تؤدي دورها. وكما هو معلوم فإن العبادة في شرع الله وسيلة لتهذيب النفوس وبعث اليقظة في الضمائر، وتجربة روحية متجددة تحفظ صفاء النفس وتضمن مراعاة حدود الله ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ولكن قد تنقلب العبادة إلى عادة ورسوم شاحبة ذات حركات شكلية واجتماعات فاقدة لروحها وهدفها في تهذيب النفوس أو إلى مآكل وموائد وأصناف من الطعام، فيكون دور المصلحين في ذلك الظرف أن يُجددوا في قلوب المؤمنين الأهداف والمقاصد التي أرادها الدين من العبادة، ويُروّضوهم على حسن الانتفاع منها كتربية عملية تزكي النفوس وتجعلها تألف صالح العمل.

الاحتجاج بالنية ودوره في إفساد العبادة: ـ

احتج كثير من الناس (وهم أولئك الذين أضافوا إلى الدين عبادات لم يمارسها النبي ﷺ أو أصحابه أو التابعون) بالنية الحسنة أو بحبهم لله أو حبهم لرسوله ﷺ.

ولا ريب أن الاحتجاج بسلامة النية لإحداث أساليب جديدة في التقرب إلى الله وعبادته احتجاج مرفوض من أساسه. وقول الرسول ﷺ «إنما الأعمال بالنيَّاتِ» لا يصح دليلاً. اذ إن الحديث يفترض وجود عمل صحيح ويؤكد على ضرورة سلامة النية لذلك العمل الصحيح. فهنا إذن أمران لا يتم الجزاء إلا بموجبهما، وهما: صحة العمل وصحة النية. والقيام بأي عمل على خلاف ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته مع الزعم بسلامة النية يظل مُنْكَراً وتحريفاً للدين، فالنية الصحيحة مطلوبة ولكنها وحدها لا تكفي بل لا بد أن يُضم إليها التقيدُ بالمشروع، خاصة اذا كان الأمر يتعلق بالعبادة. وقد سبق أن اشرنا إلى ان الله تعالى لا يريد منا أن نعبده فحسب ولكنه يريد منا أن نعبده كما يريد هو أن نعبده، لا كما نريد نحن، ولهذا قال العلماء «لا يُعبد الله إلا بما شرع».

مظاهر الانحراف في العبادة عند المتصوفة: ـ

كانت مساهمة الصوفية في تحريف مفهوم العبادة في الإسلام أكثر من غيرهم،

من ذلك ما يلي:

١ـ تشتغل فرق من المتصوفة بالزهد والعبادة ويتركون سائر الأشغال، فهؤلاء بإعطائهم العبادة أكثر مما تستحق وعلى حساب الأمور الأخرى ساهموا في تحريف مفهوم العبادة في الإسلام.

٢ـ فرض المتصوفة على أنفسهم وعلى اتباعهم أوراداً وأذكاراً من عندهم وجعلوها على قدم المساواة مع عبادات الإسلام بل في منزلة أهم.

٣ـ زعموا أن عبادة الله يجب أن تكون دون رجاء مثوبة أو خوف عقوبة(١)، وهذا تحريف ظاهر للنصوص التي تؤكد عكس ذلك ومنها قوله تعالى: ﴿**إنَّهم كانُوا يُسارِعونَ في الخَيْراتِ وَيَدْعونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وكانوا لَنا خاشِعين**﴾ [الأنبياء: ٩٠]

٤ـ يرفض المتصوفة أسلوب القرآن والسنة في تزكية النفس إذ لهم أسلوبهم الخاص بذلك، مما اقتضى إدخال عباداتٍ جديدةٍ في الإسلام. وهذا من جهة أخرى يعد اتهاماً غير مباشر للشريعة بأنها ناقصة لا تفي بحاجات تزكية النفس، ومن هنا جاء اختراعهم لمصطلح الحقيقة وزعموا أنها الأصل.

٥ـ نظراً لاعتقاد بعض فرق المتصوفة بوحدة الخالق والمخلوق، فقد قاموا بإسقاط التكاليف الشرعية عن أنفسهم وأدخلوا عباداتٍ جديدةً. من ذلك ما زعمه الحلاج أن من بنى بيتاً وصام أياماً ثم طاف عرياناً أغناه عن الحج(٢) فهدم بذلك أحد أركان الإسلام.

٦ـ يمارس الكثير من الصوفية أفعالاً تخالف الشريعة من الرقص وضرب المزامير وغيرها من الأمور التي حرمها الإسلام حتى خارج العبادة.

---

(١) كتب الصوفية مليئة بهذا الاعتقاد، انظر التعرف لمذهب اهل التصوف لابي بكر الكلاباذي تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور.

(٢) الشعراني، الطبقات الكبرى، جـ ١، ص ١٦ ـ ١٧.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

العبادة والبدع

من بدع الصلاة:

١ـ التلفظ بالنية للصلاة.

٢ـ إغماض العينين.

٣ ـ مصافحة المصلين بعد انتهاء الصلاة، وقولهم بعضهم بعضاً «يتقبل الله».

٤ـ وجود أذانَيْن للجمعة، علماً أن المشروع هو أذان واحد هو الذي بين يدي الخطيب.

٥ـ صلاة الناس لسنة الجمعة القبلية، علماً أنه لا أصل لها في الدين.

٦ـ تعدد صلاة الجمعة في البلد الواحد دون ضرورة.

٧ـ مواظبة خطيب الجمعة على صيغة من الدعاء لا يتحول عنها، وكذلك الدعاء نفسه إلا في الاستسقاء ونحوه.

٨ـ ما يُسمى بالتذكير وهو قراءة أذكار على المئذنة ليلة الاثنين والجمعة.

٩ـ قيام الإمام عند أسفل المنبر في صلاة الجمعة يدعو.

١٠ـ إطالة الخطبة يوم الجمعة وقصر الصلاة، والمطلوب هو العكس.

١١ـ قول بعض الناس عند صلاة ركعتي الفجر: سبحان من صبح الإصباح، سبحان من طيّر الجناح.

١٢ـ تهليلهم ثلاثاً جماعة بصوت مرتفع بعد ركعتي الفجر.

١٣ـ الجهر والتشويش بتكبيرة الإحرام في صلاة الجماعة.

١٤ـ وضع اليدين على الجانب الأيسر لاجل حفظ الإيمان، والسنة وضعهما على الصدر.

١٥ـالجمعة اليتيمة في رمضان لا وجود لها في الاسلام.

١٦ـصلاة ليلة المعراج وصلاة كل ليلة من رجب وشعبان أو النصف منهما.

١٧ـصلاة المكتوبات في آخر جمعة من رمضان، ويزعمون أنها تكفر صلوات العام أو العمر.

١٨ـالذكر والتسبيح والتهليل مجتمعين جهراً دبر كل صلاة في المسجد.

من بدع الحج(١):

١ـمؤاخاة المرأة للرجل الأجنبي ليصير بزعمها محرماً لها، ثم تعامله كما تعامل محارمها.

٢ـسفر المرأة مع عصبة من النساء الثقات ـ بزعمهن ـ دون محرم، ومثله أن يكون مع إحداهن محرم، فيزعمن أنه محرم عليهن جميعاً!

٣ـالإحرام قبل الميقات.

٤ـالحج صامتاً لا يتكلم.

٥ـالتلبية جماعة في صوت واحد.

٦ـالتهليل والتكبير بدل التلبية.

٧ـالقول بعد التلبية: «اللهم إني أريد الحج فيسره لي وأعني».

٨ـالمزاحمة على تقبيل الحجر الأسود، ومسابقة الإمام في التسليم في الصلاة لتقبيله.

٩ـتقبيل الركن اليماني.

١٠ـتقبيل الركنين الشاميين والمقام واستلامهما.

١١ـالتمسح بحيطان الكعبة والمقام.

(١) الألباني، مناسك الحج والعمرة، ٤٧ ـ ٦٠

١٢ـالتبرك بالمطر النازل من ميزاب الرحمة من الكعبة.

١٣ـاغتسال بعض الناس من زمزم معتقدين زيادة الفضل.

١٤ـتكرار السعي في الحج والعمرة.

١٥ـالاغتسال ليوم عرفة.

١٦ـالسكوت على عرفات وترك الدعاء.

١٧ـالصعود إلى جبل الرحمة في عرفات.

١٨ـإفاضة البعض قبل غروب الشمس.

١٩ـما استفاض على ألسنةِ العوام أن وقفة عرفة يوم الجمعة تعدل اثنتين وسبعين حجة.

٢٠ـالإسراع وقت الدفع من عرفة إلى مزدلفة.

٢١ـالاغتسال للمبيت بمزدلفة.

٢٢ـالوقوف بمزدلفة دون بيات.

٢٣ـالغسل لرمي الجمار.

٢٤ـغسل الحصيات قبل الرمي.

٢٥ـرمي الجمرات بالنعال وغيرها.

٢٦ـالرغبة عن ذبح الواجب من الهدي إلى التصدق بثمنه، بزعم أن لحمه يذهب في التراب لكثرته، ولا يستفيد منه إلا القليل.

٢٧ـذبح بعض هدي التمتع بمكة قبل يوم النحر.

٢٨ـالبدء بالحَلق بيسار رأس المحلوق تعبداً.

٢٩ـالاقتصار على حلق شيء من شعر الرأس.

من بدع الزيارة للمدينة(١):

١ـقصد قبره ﷺ بالسفر(٢).

٢ ـ إرسال العرائض مع الحجاج والزوار الى النبي وتحميلهم سلامهم إليه.

٣ـالاغتسال قبل دخول المدينة.

٤ـزيارة قبره ﷺ قبل الصلاة في مسجده.

٥ـاستقبال بعضهم القبر بغاية الخشوع واضعاً يمينه على يساره كما يفعل في الصلاة.

٦ـقصد استقبال القبر أثناء الدعاء.

٧ـقصد القبر للدعاء عنده رجاء الإجابة.

٨ـالتوسل به ﷺ في الدعاء.

٩ـطلب الشفاعة وغيرها منه.

١٠ـقصد الصلاة اتجاه قبره.

١١ـالجلوس عند القبر وحوله للتلاوة والذكر.

١٢ـقصد القبر النبوي للسلام عليه دبر كل صلاة.

١٣ـزيارة البقيع كل يوم، والصلاة في مسجد فاطمة رضي الله عنها.

١٤ـتخصيص يوم الخميس لزيارة شهداء أحد.

من بدع الجنائز(٣):

(١) محمد ناصر الدين الألباني، مناسك الحج والعمرة، ص ٦٠ـ٦٤

(٢) ليس هناك ادنى ريب في جواز زيارة قبره عليه السلام على أن يكون المقصود من السفر زيارة مسجده ﷺ

(٣) الالباني، تلخيص احكام الجنائز، ٩٥ ـ ١٠٥

١ـوضع المصحف عند رأس المحتضر.

٢ـقراءة سورة يس على المحتضر.

٣ـتوجيه المحتضر إلى القِبلة.

٤ـإخراج الحائض والنفساء من عنده.

٥ـتقليم أظافر الميت وحلق عانته.

٦ـالإعلان عن وفاة الميت من على المنائر.

٧ـالجهر بالذكر عند غسل الجنازة وتشييعها.

٨ـسدل شعر الميتة من بين ثدييها.

٩ـتزيين الجنازة.

١٠ـحمل الأعلام أمام الجنازة.

١١ـذبح الخِرفان عند خروج الجنازة تحت عتبة الباب.

١٢ـالإبطاء في السير بها.

١٣ـترك الإنصات في الجنازة.

١٤ـالصياح بلفظ (الفاتحة) عند المرور بقبر أحد الصالحين وبمفارق الطرق.

١٥ـجعل الوسادة أو نحوها تحت رأس الميت في القبر.

١٦ـتلقين الميت عند دفنه.

١٧ـالرثاء عقب دفن الميت عند القبر.

١٨ـالصدقة عند القبر.

١٩ـتحديد التعزية بثلاثة أيام.

٢٠ـاتخاذ الضيافة من الطعام من أهل الميت.

٢١ـاتخاذ الطعام من أهل الميت أول خميس.

٢٢ـتأبين الميت ليلة الأربعين أو عند مرور كل سنة المسمى بالتذكار.

٢٣ ـ تخصيصهم الذهاب إلى المقابر في يومي العيدين ورجب وشعبان ورمضان.

٢٤ـزيارتهم يومي الاثنين والخميس للمقابر تخصيصاً.

٢٥ـقراءة (يٰس) على المقابر.

٢٦ـقراءة (قل هو الله أحد) إحدى عشرة مرة أو أقل أو أكثر.

٢٧ـاعتقادهم في كثير من أضرحة الأولياء أن لها اختصاصات كاختصاصات الأطباء، فمنهم من ينفع في مرض العيون ومنهم من يشفي من مرض الحمى.

٢٨ـحمل المصحف إلى المقبرة والقراءة منه على الميت.

٢٩ـاستلام القبر وتقبيله.

٣٠ـالتوسل إلى الله تعالى بالمقبور.

٣١ـالاستعانة بالميت منهم كقولهم: يا سيدي فلان أغثني وانصرني على عدوي.

٣٢ـتجصيص القبور (اي طليها بالجص)

٣٣ـالنقش والكتابة على القبر (إلا للضرورة، فانها تبيح كتابة اسم الميت فقط دون أية اضافة)

٣٤ـبناء المشاهد والمساجد على القبور والآثار.

٣٥ـاتخاذ المقابر مساجد بالصلاة عليها وعندها.

٣٦ـدفن الميت في المسجد أو بناء مسجد عليه.

٣٧ـنذر الزيت والشمع لإسراج قبر أو جبل أو شجرة.

من بدع المساجد:

١ـبناء المنابر من درجات تزيد على الثلاث.

٢ـزخرفة المساجد والمباهاة في بنائها.

٣ـكتابة «إذا صعد الخطيب المنبر فلا صلاة ولا كلام» وهو حديث غير صحيح بل هو مكذوب على رسول الله ﷺ

٤ـالزيادة على الأذان الشرعي عبارات معينة مثل الصلاة على النبي ﷺ.

٥ـقراءة القرآن على المآذن.

٦ـفرش درج المنبر يوم الجمعة.

٧ـجعل الاعلام السود على المنبر حال الخطبة.

٨ ـ الستائر للمنابـــر .

٩ـالمواظبة على لبس السواد من الإمام يوم الجمعة.

١٠ـترك الخطيب السلام على الناس إذا خرج عليهم.

١١ـالقعود تحت المنبر والخطيب يخطب يوم الجمعة للاستشفاء.

١٢ـوجود ساعة لها جرس داخل المسجد تشبهاً بناقوس النصارى.

١٣ـتعليق تقويم (رزنامة) فيها صورة داخل المسجد.

١٤ـكثرة الألوان المثيرة في المسجد مما يلفت انتباه المصلي عن الخشوع.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

انحراف التفسير

ليس هناك من يستطيع أن يدعي أن تحريفاً ما أصاب ولو حرفاً من حروف القرآن. حتى أشد الحاقدين على الإسلام من مستشرقين وغيرهم لم يخوضوا في هذا الحديث أبداً، ووجّهوا طعنهم في القرآن إلى نسبته إلى محمد ﷺ، نافين أنه من الله عز وجل. وبالتأكيد لم يقع تحريف في نصوص الكتاب الكريم كما وقع في نصوص التوراة والإنجيل، وليس هذا موضوع بحثنا، إذ إن بحثنا في هذا الفصل يتركز على تساؤل آخر هو:هل حصل انحراف في فهم نصوص القرآن؟ وإن كان قد حصل مثل ذلك، فما هي الدوافع من ورائه؟ وما هي آثاره ونتائجه؟

وقبل أن نستعرض الأمر بتفاصيله نود أن نلفت النظر إلى أن تعدد التفاسير ليس مطعناً فيها، وأن القرآن كالنبع المتجدّد، وأنه إن وقع انحراف في فهمه، فهو بسبب انحراف المفسّر نفسه وبُعده عن الحق، أو عدم استيفائه شروط المفسّر.

مدارس التفسير:

يمكن القول إن أبرز اتجاهين في تفسير القرآن هما التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

١ـ التفسير بالمأثور:

ويعتمد التفسير بالمأثور على ما جاء في القرآن نفسه وعلى ما رواه الصحابة عن رسول الله ﷺ، وعلى ما رواه التابعون عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم. فتفسير القرآن بالمأثور هو تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين.

وإمام مدرسة التفسير بالمأثور هو الإمام ابن جرير الطبري. ومن أشهر الذين تتلمذوا لهذه المدرسة الحافظ ابن كثير في تفسيره والسيوطي في تفسيره «الدر المنثور».

٢ـ التفسير بالرأي:

وتفسير القرآن بالرأي يعني تفسيره بالنظر المجرد، الذي يستعين بقواعد اللغة وأساليب البيان.

ومن أشهر كتب التفسير بالرأي: تفسير الرازي المسمى «مفاتيح الغيب» وتفسير البيضاوي المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، وتفسير أبي السعود المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»، وتفسير النسفي المسمى «مدارك التنزيل، وحقائق التُأويل» وتفسير الخازن المسمى «لباب التأويل في معاني التنزيل».

انحراف التفسير بالمأثور:

حاد التفسير بالمأثور عن الطريق الصحيح بأن انتهى إلى حذف أسانيده وذكره مجرداً عنها، وقد فتح ذلك باب شر عظيم، حيث استطاعت الموضوعات والإسرائيليات أن تتسرب للتفسير، فأدخل أصحاب النزعات المنحرفة أقوالاً في التفسير ونسبوها إلى الصحابة، ثم جاء مَنْ بعدهم ونقلوها دون أن يتحروا صحتها، فاغترّ أناس كثيرون بهذه التفاسير وظنوا كل ما فيها صحيحا.

انحراف التفسير بالرأي:

أما انحراف التفسير بالرأي أو التفسير العقلي، فقد بدا واضحاً في إخضاعه لميول شخصية ومذاهب الفرق الإسلامية عقدية كانت أو غير عقدية.

فقد اعتقد أصحاب الفرق والمذاهب الكلامية الإسلامية كالمعتزلة والخوارج وغيرهم أفكاراً معينة، ثم أرادوا أن يجدوا لها مُسَوِّغاً في القرآن، فحملوا ألفاظ القرآن عليها. ولهذا نجدهم «إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للاعتضاد لا للاعتماد، إن وافقت ما ادعوا أن العقل دل عليه قبلوه، وأن خالفته أوّلوه! وهذا فتح باب الزندقة، نسأل الله العافية»(١).

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٣٧.

وبكلمات أخرى فإن المتكلمين اعتمدوا العقل أصلاً في التفسير، فإن وجدوا في النصوص ما ذهبت إليه مذاهبهم أخذوا بها، وإلا أعرضوا عنها تفويضاً أو حرّفوها تأويلاً.

ولتحقيق تلك الغاية كان لا بد من صرف اللفظ عن ظاهرة والإعلان عن وجود مجاز في القرآن الكريم، وبذلك فتح باب التأويل غير المشروع على مصراعيه ودخل التحريف تفسيرَ القرآن الكريم.

وطالما انتهى الحديث بنا إلى التأويل، فلا بد أن نذكر أن المعاني التي يمكن أن يدل عليها التأويل ثلاثة ليست كلها خطأ :

١ـ التأويل بمعنى إيضاح المعنى وبيانه، وهذا اصطلاح جمهور المفسرين.

٢ـ التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول الشيء إليها. وهذا هو المعروف من معنى التأويل في الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿**هَل يَنْظُرونَ إلا تَأْويلَه**﴾ [الاعراف: ٥٣]، ﴿**ذٰلِكَ خَيْرٌ وأحسن تَأْويلاً**﴾ [النساء: ٥٩]. فتأويل آيات الصفات بهذا المعنى هراء، لأنه الحقيقة التي هي عليها وهذا لا يعلمه الا الله.

٣ـ التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر، وهو اصطلاح المتأخرين من المتكلمين وغيرهم، وهو نوعان: صحيح وفاسد. فالصحيح ما دل دليل عليه، والفاسد ما لا دليل عليه. مثال الصحيح تأويل قوله تعالى: ﴿**فَإذا قَرَأتَ القُرآن فاستَعِذ بالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم**﴾ [النحل: ٩٨]، إلى أن المعنى: إذا أردت أن تقرأ. ومثال الفاسد: تفسير استواء الله بالاستيلاء ويده بقوته ونعمته ونحو ذلك.

وإلى النوع الثالث يشير العلامة ابن أبي العز الحنفي بقوله: «فإنه قد صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل: إنه صرف اللفظ عن ظاهره وبهذا تسلط المحرفون على النصوص، وقالوا. نحن نتأوّل ما يخالف قولنا، فسمّوا التحريف:

تأويلاً، تزييناًله وزخرفة ليقبل(١).»

فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد، لذلك سمى ابن تيمية التأويل الفاسد تحريفاً لورود ذم التحريف في القرآن.

ان السماح بصرف القرآن عن دلالته المفهومة بغير دليل شرعي هو فتح لباب شر عظيم عبرت منه مؤامرات المشركين وأهل البدع على الإسلام وعلى القرآن. ذلك أن الضابط فيما يسوغ تأويله وما لا يسوغ يغدو مفقوداً.

ولا ريب أن العقل لا يصح أن يكون ضابطاً، فالعقل أمر نسبي، وعقول الناس مختلفة، بل عقل الشخص الواحد متفاوت. وإذا صح أن يكون العقل ضابطاً، فإن التأويلات التي يزعم أصحابها صحتها أكثر من أن تحصى ويلزم حينئذ كما يشير ابن أبي العز الحنفي محذوران عظيمان:

١-«أن لا نقر بشيء من معاني الكتاب والسنة حتى نبحث قبل ذلك بحوثاً طويلة عريضة في إمكان ذلك بالعقل. وكل طائفة من المختلفين في الكتاب يدَّعون أن العقل يدل على ما ذهبوا إليه، فيؤول الأمر الى الحيرة المحذورة.

٢-«إن القلوب تتخلى عن الجزم بشيء تعتقده مما أخبر به الرسول، إذ لا يوثق بأن الظاهر هو المراد، والتأويلات مضطربة، فيلزم عزل الكتاب والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ الله به العباد وخاصة النبي، هي الأنبياء والقرآن»(٢).

الحقيقة والمجاز:

إن الظن بأن هناك مجازاً في القرآن الكريم كان سبباً لفتح باب شر عظيم آخر في فهم القرآن وآياته، دخله واستغلّه أسوأ الاستغلال أتباعُ الفرق الاسلامية،

(١) ابن أبي العز الدين الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٣٢
(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٦

فانتصروا لآرائهم بادّعاء أن هذه اللفظة أو تلك مجاز، وأوّلوها تَبَعاً لما ذهبت إليه مذاهبهم، ولذا وجب سد هذا الباب. ولحسن الحظ فإن هناك من الأدلة التي تعين على سده الشيء الكثير. فالقرآن أنزل بلسان عربي مبين وهو كتاب فُصّلت آياته.

وكان من أكابر من تنبّه لهذا الشر الداخل من المجاز شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ونسوق فيما يلي موجزاً ملخصاً لما أورده من أدلة بهذا الخصوص في كتابه «الإيمان»(١):

١ـ إن تقسيم الحقيقة والمجاز هذا جاء متأخراً بعد القرون الثلاثة الأولى. وهذا التقسيم اصطلاح حادث لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من الأئمة المشهورين.

٢ـ أول من عرف أنه يتكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة. معمر بن المثنى، ولكنه لم يعن بالمجاز أنه المقابل للحقيقة، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية.

٣ـ الغالب أن هذا الاصطلاح كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين.

٤ـ إن الشافعي وهو الذي كان أول من جرّد الكلام في أصول الفقه لم يقسم هذا التقسيم، ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز، وكذلك سائر الأئمة، إلا في كلام أحمد بن حنبل فإنه قال في الرد على الجهمية في قوله «إنا ونحن» ونحو ذلك في القرآن: هذا من مجاز اللغة.

٥ـ إن بعضهم أنكر أن يكون ابن حنبل أو غيره نطقوا بهذا التقسيم فقال: إن معنى قوله: «من مجاز اللغة» أي: ما يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذي له أعوان «نحن فعلنا كذا وكذا ونفعل كذا» فإن ابن حنبل لم يُرد أن اللفظ استُعمل في غير ما وضع له.

٦ـ إن طائفة انكرت أن يكون في اللغة مجازٌ سواء في القرآن أو غيره

(١) ابن تيمية، الايمان، ص ٨٣ـ٩٣

كالإِسْفَرايِينيِّ.

أمثلة على التأويلات الفاسدة: ـ

١ـانكار أن يكون لله عرش حقيقة، وتأويل العرش في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ استَوى عَلى العَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] بملك الله.

٢ـإنكار صفة الرضى لله عز وجل، وتأويل صفة الرضى في قوله تعالى ﴿رَضِيَ الله عَنْهُم وَرَضُوا عَنهُ﴾ [المائدة: ١١٩]. بارادة الاحسان.

٣ـإنكار صفة الغضب لله عز وجل، وتأويل صفة الغضب في قوله تعالى: ﴿وَغَضِبَ الله عَلَيهِ وَلَعَنَهُ﴾ بإرادة الانتقام.

٤ـإنكار أن لله يدين، وتأويل يدي الله التي وردت في القرآن الكريم بالقوة او النعمة.

٥ـإنكار أن يكون لله كرسي حقيقة، وتأويل لفظ الكرسي في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰواتِ والأَرضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] بالعلم.

٦ـإنكار أن يكون لله وجه حقيقة، وتأويل لفظ الوجه في قوله تعالى ﴿. . . إنَّما نُطعِمُكُم لوجهِ الله﴾ [الانسان: ٩] بالثواب.

٧ـإنكار أن يكون لله عين حقيقة، وتأويلها بالعلم أو الرؤية.

٨ـقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كثيراً مِن الجِنِّ والإِنْس﴾ [الأعراف: ١٧٩]. فسر المعتزلة ذرأنا لجهنم: أي ألقينا فيها. دفعهم لهذا التفسير مذهبهم في أن الله لا يخلق الهداية والضلالة، وانه لم يخلق خلقا للنار وخلقا للجنة.

٩ـقوله تعالى ﴿عَمَّ يَتَساءلون. عَنِ النَّبأ العَظيمِ. الذِي هُم فِيه مُخْتَلِفون﴾ [النبأ: ١ ـ ٣]. يفسره الشيعة بما يلي: كان علي بن أبي طالب يقول لأصحابه: والله أنا النبأ العظيم، الذي اختلفت فيه جميع الأمم بألسنتها والله ما لله نبأ أعظم مني ولا

والله آية أعظم مني.

١٠ـقوله تعالى: ﴿وعصىٰ آدمُ ربَّه فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١ فسر بعض المعتزلة «غوى» بمعنى اتخم من أكل الشجرة. وقد فعلوا ذلك فراراً من نسبة الغواية لآدم عليه السلام.

١١ـقوله تعالى: ﴿وَلله عَلى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ استَطاعَ إليه سَبيلاً، وَمن كَفَرَ فإنَّ الله غَنيٌّ عَنِ العالمين﴾ [آل عمران: ٩٧] استدل بها الخوارج على تكفير تارك الحج.

١٢ـقوله تعالى ﴿وُجوهٌ يَوْمَئذٍ نَاضِرةٌ، إلى ربها ناظِرةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] فسره بعض المعتزلة بما يتمشى مع مذهبهم الذي ينفي جواز رؤية الله تعالى، وقالوا: إنّ النظر هنا هو الانتظار للثواب، وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً، وفسر معتزلة آخرون النظر هنا بمعنى التوقع والرجاء.

١٣ـقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِما أَنْزَلَ الله فَأُولئكَ هم الكافِرُون﴾ [المائدة: ٤٤]، استدل به الخوارج على ان كل مرتكب للذنوب فقد حكم بغير ما أنزل الله، وبالتالي فهو كافر.

١٤ـقوله تعالى: ﴿إنَّما وَلِيُّكُم الله ورسولُه والذين آمنوا الذين يقيمون الصَّلاةَ ويؤتونَ الزكاة وهم رَاكِعون﴾[المائدة: ٥٥]. يذكر الشيعة أنها نزلت في علي حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فأومأ اليه بخنصره فأخذ خاتمه منها، بمعنى أن الآية تدل على إمامته دون سواه للحصر.

١٥ـقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ موسى تَكْليما﴾ [النساء: ١٦٤]. قرأ المعتزلة الآية هكذا «وكلم اللهَ موسى تكليما» بنصب لفظ الجلالة على أنه مفعول ورفع موسى على أنه فاعل انسجاما مع مذهبهم في عدم جواز تكلم الله.

مظاهر تحريف أخرى في التفسير : ـ

١ ـ الادعاء بأن للقرآن ظاهراً وباطناً :

يزعم الشيعة بأن للقرآن ظاهراً وباطناً ، وأن للباطن باطناً ، وهكذا حتى يصل إلى سبعة بواطن ، وأن الناس إنما يدركون الظواهر ، وأما الباطن وباطن الباطن فلا يدركه إلا الإمام ، لأنه في نظرهم المعصوم الذي أودع علم النبوة ، فهو يفسر القرآن بهذه الوديعة النبوية التي أودعها النبي علياً رضي الله عنه ، وعلي أودعها الإمام من بعده وهكذا .

ومن كتب الشيعة في التفسير «مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار» للمولى عبد اللطيف الكازراني ويعد هذا التفسير مرجعاً مهماً من مراجع التفسير عند الإمامية الإثنى عشرية وأصلاً لا بد منه لمن يريد أن يعرف مدى تأثير الهوى والعقيدة المنحرفة على فهم كتاب الله .

ومن كتب الشيعة في التفسير تفسير الحسن العسكري المتوفى سنة ٢٦٠ هـ ، وهذا الكتاب مطبوع في مجلد صغير وهو غير شامل للقرآن كله .

ومن ذلك أيضاً تفسير الباطنية الذين يقتصرون على الأخذ بباطن القرآن ويهملون ظاهره مستدلين بقوله تعالى ﴿**فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**﴾ الحديد : ١٣

وليس في تفسير الباطنية إلا التأويلات الفاسدة المخالفة لأصول الشرع وقواعد اللغة ، وهي أشد بعداً عن النسق القرآني من تفاسير التصوف والتفاسير الإشارية ، وإن كانت تشترك جميعاً في مخالفة ظاهر القرآن .

٢ ـ غلبة الشطحات الروحية البعيدة عن النسق القرآني والتي تجعل الكلام غامضاً ، وهذا ما يبدو واضحاً في تفسير المتصوفة لآيات القرآن الكريم . وسبب ذلك أنهم حمّلوا نصوصَ القرآن عقائدهم . ولذلك تكثر العبارات الغامضة التي ليس وراءها طائل .

وأشهر التفاسير من هذا النوع التفسير المنسوب إلى الشيخ محي الدين ابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ، ومنه ما يراه المفسر في تأويل قوله تعالى: ﴿**إنَّ الذين كفروا بآياتِنا سَوفَ نُصليهِم ناراً، كُلَّما نَضجَت جُلُودُهم بَدَّلناهُم جُلوداً غيرَها لِيَذُوقُوا العذابَ. إنَّ الله كانَ عزيزاً حكيماً**﴾ [النساء: ٥٦] ففيه ما نصه: ﴿**إن الذين كفروا بآياتنا**﴾ أي حجبوا عن تجليات صفاتنا وأفعالنا، إذ مطلع الآية كونه متجلياً بالعلم والحكمة والملك في آل إبراهيم. ﴿**سوف نصليهم ناراً**﴾ نار شوق الكمال لاقتضاء غرائزهم بحسب استعدادهم ذلك مع رسوخ الحجاب ولزومه، أو نار قهر من تجليات صفات قهره تعالى تناسب أحوالهم، أو نار شره نفوسهم وشهواتها مع حرمانها منها ﴿ **كلما نضجت جلودهم**﴾: رفعت حجبهم الجسمانية بانسلاخهم عنها وبدلناهم جميعاً غيرها جديدة. ليذوقوا العذاب: نيران الحرمان ﴿**إن الله كان عزيزاً**﴾ قوياً يقهرهم ويُذلهم بذّل صفات نفوسهم، ويحرقهم بنيران توقانها إلى كمالاتهم مع حرمانهم أبداً ﴿**حكيماً**﴾: يُجازيهم بما يناسبهم من العذاب الذي اختاره لأنفسهم بدواعيهم الغضبية والشهوية وغيرها، وميولهم إلى الملاذ الجسمانية فلذلك بدلوا حجباً ظلمانية بعد حجب!!!.

وقد أدى هذا الأسلوب بالمتصوفة إلى تحميل بعض نصوص القرآن الكريم عقائد دخيلة، أراد الصوفية البرهنة على إسلاميتها، مثل الآيات القرآنية التي تشير إلى قرب الله من الإنسان كقوله تعالى ﴿**وَلَقد خَلَقْنا الإنسانَ ونعْلَمُ ما تُوَسوِسُ به نَفْسهُ، ونحنُ أقرب إليه مِن حبلِ الوَريد**﴾ [ق: ١٦] وقوله ﴿ **ما يكونُ من نجوى ثلاثةٍ إلا هو رابعُهُم ولا خمسةٍ إلا هو سادِسهُم ولا أدنى من ذلكَ ولا أكثَرَ إلا هُو مَعَهُم أينما كانُوا**﴾ [المجادلة: ٧] فهذه الآيات حملوها على وحدة الوجود والشمول الإلهي وعدم الانفصال بين الخالق والمخلوق التي أخذوها من الهندوسية.

٣ ـ تحميل نصوص القرآن أكثر مما ينبغي، والادعاء بأنها شاملة لكل شيء، بما في ذلك أنواع المعارف والعلوم كلها دون استثناء. وهكذا فإن فيه نظريات فيزيائية

وكيميائية . . إلخ . ولا شك أن هذه الفكرة تخرج بالقرآن الكريم عن اتجاهه السوي الصحيح إلى اتجاه منحرف .

والحقيقة أن نزعة التفسير العلمي هـذه ليست جديـدة فهي تمتد من عهـد النهضة العلمية العباسية إلى يومنا هذا . وقد بدأت على شكل محاولة للتوفيق بين القرآن وما وجد من العلوم . وقد صرح بذلك الغزالي والفخر الرازي وغيرهما كما سيمر معنا . ووجدت كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن . وفيما يلي أمثلة تبين هذه النزعة قديما وحديثا :

أ ـ تفسير الفخر الرازي المعروف «بالتفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب» . وقد استعمل فيه الحجج العقلية ، وهو تفسير جامع لجميع العلوم لا يترك علماً إلا ويبحث فيه ، حتى قال عنه بعض العلماء : إن فيه كل شيء إلا التفسير .

ب ـ يقول أبو حامد الغزالي «إن كل ما اشكل فهمه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ، في القرآن له رموز ودلالات علمية يختص أهل الفهم بدركها(١)» .

جـ ـ ويخصص الغزالي في كتابه «جواهر القرآن» الفصل الرابع منه لكيفية انشعاب العلوم الدينية كلها وما يتصل بها من القرآن . ثم يعقد الفصل الخامس لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن أيضا ويـذكر علومـاً عدة ويـذكر الآيـات القرآنية ، ما يحوي بعض هذه العلوم كنموذج على نظريته هذه ، وينهي بحثه بقوله «فتفكر في القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين»(٢) .

د ـ يزعم بعض المتقدمين كأبي الفضل المرسي ما يلي :

١ ـ إن علم الهندسة موجود في قوله تعالى في سورة المرسلات ﴿**انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب**﴾ قال : فإن فيه قاعدة هندسية وهي أن الشكل المثلث لا ظل له .

(١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ٣ ، ص ١٣٥
(٢) الغزالي ، جواهر القرآن ، ص ٣٢ ـ ٣٤

٢ ـ إن الجبر والمقابلة مأخوذان من أوائل السور، فإن فيها ذكر مدد وأعوام وأيام التواريخ لأمم سالفة. وإن فيها بقاء هذه الأمة، وتاريخ مدة أيام الدنيا وما مضى وما بقي مضروب بعضها في بعض.

هـ ـ ذكر السيوطي عن بعض العلماء: أنه استنبط أن عمر النبي ﷺ ثلاث وستون سنة من قوله تعالى في سورة المنافقون ﴿**ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها**﴾ الآية ١١ فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وأعقبها بسورة التغابن ليظهر التغابن في فقده.

وفي العصر الحديث كان أبرز من نحى منحى النزعة العلمية الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره «الجواهر في تفسير القرآن الكريم»، حيث ذكر فيه كل العلوم، لهذا لم يشتهر تفسيرة ووجد معارضة كبيرة من المثقفين المسلمين فمثلاً عندما يعرض لقوله تعالى في الآيات ٦٧ وما بعدها من سورة البقرة ﴿وإذ قال موسى لقومه أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة. . .﴾ فإنه يعقد بحثاً في عجائب القرآن وغرائبه ويذكر ما انطوت عليه هذه الآيات من عجائب فيقول: «وأما علم تحضير الأرواح فإنه من هذه الآية استخراجه، إن هذه الآية تتلى والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم الأرواح بأمريكا أولاً ثم بسائر أوروبا ثانياً، ثم ذكر نبذة طويلة عن مبدأ ظهور هذا العلم، ثم قال: «ولما كانت السورة التي نحن بصددها قد جاء فيها حياة العزيز بعد موته، وكذلك حماره، ومسألة الطير وإبراهيم الخليل، ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الطاعون فماتوا ثم أحياهم الله. . وعلم الله أننا نعجز عن ذلك جعل قبل ذكر تلك الثلاثة في السورة ما يرمز إلى استحضار الأرواح في مسألة البقرة(١)».

وهناك أمثلة عدة حاول بعض المفسرين أن يقحمها على القرآن الكريم منها ما تم اكتشافه من أن:

ـ التغير الكيميائي بل والمعنوي ناشىء عن تخالف نسبة المقادير والقرآن

(١) الشيخ طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم جـ ١، ص ٧١ ـ ٧٧

يقول : «وكل شيء عنده بمقدار» . الرعد : الآية ٨ .

ـ إن طريقة إمساك الظل ، أي التصوير الشمسي وردت في القرآن . يقول عز وجل ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعل الشمس عليه دليلاً**﴾ الفرقان : الآية ٤٥ .

٤ ـ استطراد أصحاب الفنون المختلفة كالنحوي والمؤرخ والفقيه من غير حاجة في فنونهم وإقحام الكثير من أبحاثهم على التفسير.

٥ ـ تفسير القرآن بالرأي غير الجائز مما يخالف أصول الإسلام واللغة بشكل واضح . وسبب ذلك محاولة التوفيق بين الأدلة الشرعية وبين أمور عقلية وعلمية مأخوذة من خارج الدين ، كأن تكون مأخوذة من أهل الكتاب أو الغرب المعاصر أو غيرهما . من ذلك تفسير الشيخ محمد عبدة لقوله تعالى : ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ**﴾ فقد فسر الشيخ «الشيطان» بالجراثيم . وهذا يتعارض مع الحقائق التي قررها القرآن في غير موضع بخصوص وجود أجسام مخلوقة من النار تدعى بالجن ، وأنهم مكلفون وأننا وإن كنا لا نراهم فإنهم يروننا .

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿**يا أيُّها الناسُ اتَّقوا رَبَكُم الذي خَلَقكُم مِن نَفْس واحدَةٍ**﴾ [النساء : ١] ، يقول : ليس من الضروري أن كل البشر من آدم ، إذ إن (نفس واحدة) هنا هي نكرة . وفي معرض الكلام عن قوله تعالى : ﴿**ولولا دفعُ الله الناسَ بعضهم ببعض**﴾ [البقرة : ٢٥١] يشير إلى امكانية احتمال نظرية دارون(١) .

(١) انظر تفسير المنار جـ ٢ ، ص ٤٩٧ ، جـ ٣ ص ٩٦

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

انحـــراف الفقـــه

يمكن لنا ان نُعَرّف الفقه أنه : العلم بالأحكام الشرعية التفصيلية التي تتعلق بالعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والجنايات ، ولكن ليس بالعقيدة . وأدلة الأحكام الفقهية : الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

وقد ازدهر الفقه ازدهاراً عظيماً في القرون الأولى من الإسلام ، وعلى هذا مضت دولة المسلمين صاعدة في عنفوانها قويةً يقظةً . وتربى بين أحضان هذه القوة وهذه اليقظة فكرٌ إسلاميٌّ صافٍ من شوائب الزيف والفساد ، فكر متطور مصقول تبدو مظاهره جلية في مجالات الاجتهاد عند أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وغيرهم من أئمة الاجتهاد ، الذين شاركوا مشاركة فعالة في تزويد الفكر الإنساني بثروة لم تزل ثرة المنابع .

وهكذا استمر الفكر الإسلامي في أداء رسالته قروناً ، ثم لم يلبث أن عراه فتور ظل يتزايد يوماً فيوماً ، حتى آل به إلى الركود والتوقف عن كل اجتهاد وخاصة في مجال التشريع .

ركود الفقه الاسلامي

غير أن قوة الزخم لم تستمر كما هي ، فأخذ النضج والكمال بالهبوط والانحدار حتى بدأ دور ركود الفقه نظراً لعوامل منها :

١ ـ الاضطراب السياسي :

مع بداية القرن الخامس الهجري كانت البلاد الإسلامية ممالك صغيرة يسيطر عليها حكام انشقوا عن سلطان الخلافة . وكان يحفزهم الطمع في سعة السلطان إلى مقاتلة بعضهم ، بل إن أكثرهم كان لا يتورع في سبيل مآربه أن يستعين بالروم أو بغيرهم من أعداء الإسلام على محاربة من جاورهم من المسلمين وخضد شوكتهم

وقعد المسلمون عن مقاومة أعدائهم وضعفوا حتى أخذت تداهمهم الكوارث من كل جانب وتوالت عليهم عوامل الضعف تباعاً، فاصيبوا بزحف المغول الذين اجتاحوا البلاد الإسلامية وعاثوا فيها فساداً حتى إن المكتبات لم تسلم من اذاهم، فأحرقوا ما أمكن لهم منها وألقوا بالباقي في الطرقات والأنهار.

ثم شنّ الصليبيون حملاتهم بدافع التعصب الديني والجشع المادي لفترات تناهز القرنين، لاقى اثناءهما المسلمون من الكلل والفتور ما أضعف تفكيرهم، وحدَّ من نشاطهم العقلي، فهم في غمرة هذه الحروب لا يستفيقون على غاشية إلا لتغشاهم أخرى. ثم برزت الفتن الداخلية، وكان لا بد أن تفضي إلى عدم استقرار الحكم، خصوصاً وقد هيأ لها ذلك ما كان موجوداً من فوضى القوانين واستحكام الاستبداد.

٢ ـ الاضطراب الاجتماعي:

وطبيعي أن لا تكون هناك حياة اجتماعية مستقرة في هذا الجو السياسي المضطرب. فقد أفضى تنازع الأمراء فيما بينهم وتتابع الغارات على البلاد الإسلامية إلى اختلال الأمن في البلاد ووجود حالة من الرعب والفزع سكنت قلوب الناس. وكاد اسم الحاكم يصبح مرادفاً لمعنى الجور والنهب والاستيلاء، وبهذا أضحى المواطن غير مطمئن على نفسه وماله وحرمه، فأفضى الأمر إلى نقص في الأموال والأنفس والثمرات، تدهورت بسببه الحالة الاقتصادية فانتشرت الفاقة وكثر اللصوص وقطاع الطرق واشتد الغلاء، وعمد التجار إلى الغش والاحتكار والتطفيف في المكيال والميزان، فكان الناس إزاء هذا الوضع صنفين: ذوي يسار اخلدوا إلى الترف والراحة، وذوي عسرة ركنوا إلى التعطل والبطالة.

٣ ـ أدى تدوين المذاهب إلى سهولة تناول أحكام المسائل والوقائع من مراجع هذه المذاهب، ولم يبق حافز إلى الاجتهاد والأبحاث الجديدة.

٤ ـ التعصب المذهبي لفقهاء كل مذهب، حتى وصل التعصب درجة أن

اعتبرت أقوال أئمة المذاهب بمثابة النصوص في القدسية ، بل أحياناً تُعد هذه الأقوال من النصوص . ويدل على ذلك قول أبي الحسن الكرخي من فقهاء الحنفية : «كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤوّلة أو منسوخة وكل حديث كذلك فهو مؤول او منسوخ»(١) . وبمثل هذا التعصب انغلق باب الاجتهاد وانفتح باب التقليد الذي كان له الأثر السَّيء على جمود وركود الفقه الإسلامي وعدم مسايرته لركب التطور رغم المرونة الموجودة في الشريعة الإسلامية .

إغلاق بـاب الاجتهـاد :

كان من أبرز نتائج هذا الوضع أن ضعفت الحركة العلمية وتوقف الفكر الإسلامي إلى حين . فمن العسير أن نجد للفكر حركة نشيطة مثمرة في زمن تضطرب فيه السياسة ويفقد النـاس فيه الاستقـرار وكل مـا يمكنهم من الاشتغال بـالبحث والتفكير، إذ الظلم عدو الفكر الحر، كثيراً ما يكبته ويغله .

لقد كان من أثر تلك العوامل المختلفة أن حدت من نشاط الفكر الإسلامي . إذ ضيق الفقهاء على أنفسهم فالتزموا مذاهب معينة ودرسوا فقهها دون تصرف ، واجتنب أهل الفكر والنظر الصَّدع بآرائهم الاجتهادية ، وردّ الناس إلى تقليد الأئمة الأربعة ، وتشبث كل مقلد بمذهب إمامه ، فاتسعت شقة الخلاف بين المقلدين ، حتى أصبحت المذاهب كأنها ديانات مختلفة .

على أن هذا التقليد لم يصر إليه الفقهاء دفعـة واحدة ، فحتى مـطلع القرن الخامس الهجري لم يخل زمن من وجود علماء قدموا فتاوى واجتهادات جريئة فيما جد من القضايا .

وبين القرنين الخامس والسادس لم يدع أحدٌ الاجتهادَ بمعناه الكامل ، وإنما وجد فقهاءُ ذوو اقتدار على الاستنباط في حدود مذاهبهم . ومن أواخر القرن السابع لم يوجد غير فقهاء ذوي فتاوى وترجيحات ، وبذلك ضاقت مجـالات الاجتهاد حتى

(١) محمد الخضري ، تاريخ التشريع الاسلامي ، ص ٢٣٦

ذهب الظن ببعض الناس إلى أن باب الاجتهاد قد أغلق .

لقد توقف الفقهاء اذن عن كل حركة علمية مطبوعة بطابع التجديد والابتكار، معرضين عن النظر في الكتاب والسنة، ولبثوا يجترون بعض الكتب الفقهية القديمة، ولم يجددوا في شيء منها . فهم بدل أن يناقشوا جوهرها ويتدارسوه ويغربلوا محتواها وينقدوه ويصححوا أوضاعها ويضيفوا إليها ما يَجِدّ من حين لآخر من المشاكل والقضايا، عكفوا على مناقشة جزئيات لفظية، واغرموا بجدل لا يجدي نفعاً وخلافات سطحية حول هذه الجملة أو تلك، والتأمت مجالس لفحص فقرة أو نقد تعبير، وانكبوا على هذا الرأي أو ذاك، أو يشرحون هذا المتن أو يحشون على هذا الشرح أو يعلقون على هذه كثيرا من وقتهم في خصومات صاخبة لم تعد على الإسلام والمسلمين بأية عائدة .

وقضى المسلمون قروناً على هذا الشكل حتى اضمحلت منابع حياتهم الفكرية وفقدت عناصر تغذيتها فقد تضاءلت أثار الفكر المبتكر والرأي المجدد؛ وظل الفكر الإسلامي يخبط في ملتويات التقليد، وأصبح العلم في مفهوم الناس لا يعني أن يكتشف الإنسان معارف جديدة أو يجاهد في سبيل الحصول عليها، وإنما يعني فقط أن يتمسك أشد ما يكون بما خلفه له الأوائل من تراث .

وأصبح قصارى جهد العالم أن يفهم ما قيل، ويحفظ من كلام السابقين ما وسعته الطاقة .

مظاهـــر انحراف الـفقـه :

إن العلاقة بين التقليد والاجتهاد علاقة عكسية، فقد أُغلق باب الاجتهاد حينما ساد التقليد كما أن اتخاذ التقليد منهجاً أدى إلى تشديد النكير على كل من قال بالاجتهاد، واتهم كل من قال بذلك بمخالفة إجماع الأمة وبالانتقاص من قدر الأئمة . وقد سادت مظاهر معينة نتيجة لذلك، نستطيع أن نقول : إنها مظاهر انحراف الفقه وهي :

١ ـ اتباع إمام المذهب أو فقيه من الفقهاء، يرى ويعتقد مُتبعوه أنه يستحيل منه الخطأ وأن ما قاله هو الصواب قطعاً وكأنه نبي مرسل.

٢ ـ التعامل مع أقوال الأئمة إلى الحد الذي رفعهم على أنهم معصومون واعتقاد استحالة جواز الخطأ عليهم. ولذلك فإن كثيراً من العلماء لا يجرؤ أن يقول: أخطأ الإمام في هذه المسألة، مع العلم أنه يرى الدليل من الكتاب محكماً قاطع الدلالة أو السنة الصحيحة الواضحة المعنى بخلاف قول إمامه فيكون بذلك قد قدم غير أمر الله على أمره، فارتكب بذلك شركاً أو ذريعة إلى الشرك.

٣ ـ ونتيجة لذلك أعرض الناس عن الكتاب والسنة والتزموا بآراء الفقهاء وَعَدّوها هي الدين.

٤ ـ وبدلا من أن تحل المشاكل المستجدةُ على ضوء نصوص الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة المستنبطة منها، أصبحت تحل على أساس تطبيق اقوال مذهبية وآراء فقهاء المذاهب المتأخرين.

٥ ـ تقليد فقهاء المذاهب دون معرفة الدليل الشرعي أو البحث عنه والتعامل مع ارائهم واجتهاداتهم على أنها أدلة بحد ذاتها، وبذلك تعطل الفقه وانحصر طلبة العلم في معرفة أقوال أئمة مذاهبهم دون النظر في أدلتها وموزانتها بأدلة الأئمة الآخرين.

٦ ـ وعلى الرغم من وضوح ضعف الرأي الفقهي أحيانا لدى المقلدين والهوة بينه وبين آية أو حديث، فإن الكثيرين منهم يتمسك برأي مذهبه ويحاول أن يجد مسوغاً لذلك بأن يتأول الآية أو الحديث المعارض لرأي مذهبه لصالح ذلك الرأي. وهذا ناتج عن نية مسبقة وتصميم مسبق في عدم ترك المذهب وإن ظهر الدليل من الكتاب أو السنة خلافه. ولا شك أن في ذلك شبهاً من تحريف اليهودية والنصرانية، كما أن ذلك دلالة على ضعف الوازع الديني.

٧ ـ قاد التعصب المذهبي إلى فرقة المسلمين واختلافهم، فقد أدى التنافس

بين أتباع المذاهب المقلدين إلى التباغض والتقاتل. والتاريخ يشهد على ذلك فقد تركوا الصلاة وراء بعضهم بعضاً، وفي بعض الأحيان لا يتزوجون من بعضهم بعضاً، ولا يستفتون بعضهم البعض، فأين هذا من الاسلام وما جاء به من وحدة؟!

٨ ـ ونتيجة لذلك حرمت الأمة الكثيرَ من النصوص الصحيحة التي خالف الأئمة الأربعة فيها حديثاً صحيحاً كطلاق الثلاث هل يقع ثلاثاً أو طلاقاً واحداً، فبينما يقول الأئمة الأربعة جميعاً: إنه يقع ثلاثاً وبذلك من قال لامرأته: «أنت طالق ثلاثاً» فإنها لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، مع العلم أن الحديث الصحيح بخلاف ذلك فقد كان الطلاق ثلاثاً يقع واحداً في زمن رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافه عمر»(١).

٩ ـ ونتيجة لذلك أيضاً انتشر التلفيق وهو الاتجاه إلى جمع الرخص والتسهيلات من كل مذهب والتي تناسب هوى الشخص المتتبع لها فارتكب الكثير من المخالفات الصريحة للكتاب والسنة وعد ذلك مظهراً من مظاهر التهاون في الدين.

١٠ ـ ونظراً للتقوقع على آراء المذهب الواحد والتعصب له فإن النتيجة الحتمية لذلك هو توقف الاجتهاد، الذي يُعد على طرف النقيض لذلك. فالاجتهاد يقتضي الرجوع إلى الأدلة الأصلية والقواعد الكلية والانتقال من ضيق المذهبية إلى سعة الشريعة. فالمذهب ليس إلا فرعاً من فروع الشريعة واعتبار بعض أتباع المذاهب مذهبهم الفقهي هو الإسلام إنما هو تضييق للإسلام، وهذا يقتضي التجرد من التعصب المذهبي.

١١ ـ وهكذا حرمت الأمة من البحث والاستنباط في أحكام الوقائع المتجددة،

(١) الحديث كما رواه مسلم عن ابن عباس قال «كان طلاق الثلاث في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب ان الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه اناه فلو امضيناه عليهم فارضاه عليهم» صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٠ ص ٧٠.

وركد العلم بالكتاب والسنة وأغلق الاجتهاد فكانت نتيجة ذلك عزل الشريعة عن حياة الناس.

١٢ ـ اهتمام الفقهاء بالجزئيات أكثر من اهتمامهم بمقاصد الشريعة وغاياتها كما كان اهتمامهم مركزاً إلى حد ما على افتراضات غير واقعية.

١٣ ـ ربط الحكم الشرعي بالحكمة لا بالعلة. والحكمة هي الفائدة والمصلحة المترتبة على الحكم مثل النظافة الناشئة عن الوضوء. أما العلة فهي الباعث الشرعي وسبب تشريع الحكم. والخطورة في ربط الحكم بالحكمة أن الأخيرة لا ضابط لها، وقد يمكن استنباطها وقد لا يمكن، فما الحكمة التي يمكن أن تستنبط من كون صلاة الفجر ركعتين؟ وإذا استنبطت فإن إمكانية الاختلاف بين الناس في استنباطها متوفرة. هذا بالإضافة إلى أن الدافع للأخذ بالحكم سيصبح مادياً نفعياً.

أما العلة فإن الأمر مختلف بالنسبة لها تماماً، فهي مستمدة من النص، وإمكانية الاختلاف في استنباطها قليلة وآثار هذا الاختلاف غير مهمة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دفاعاً عن السنة

إن المراقب لمجريات الأمور في مجتمعاتنا يلاحظ وجود ظاهرة معينة في المجتمع الإسلامي لها تأثيرها السلبي البالغ في التعامل مع سنة المصطفى ﷺ، كما أن تأثيراتها السلبية تنعكس على الإسلام بشكل عام.

وللأسف فإن هذه الظاهرة داخلية، وأعني أنها نابعة من داخل المجتمع الإسلامي، بل الأدهى من ذلك أنها صادرة من أناس يلبسون لباس العلم ويتمسحون بالدين.

ولقد كنت دوماً ممن ينظرون إلى ما يحيق بهذه الأمة من أخطار خارجية على أنه أقل شأناً من أن تكون أخطاراً حقيقية، وأن الخطر الحقيقي هو الذي يهدد كيان الأمة من داخلها، فالضعف الحقيقي هو الضعف الذاتي، والخطر الحقيقي هو الخطر النابع من الذات، كما أن القوة الحقيقية هي القوة الذاتية.

لقد تعرضت السنة مع مرور الأيام والسنين للأذى من ثلاث جهات:

أولاً: الدس عليها والطعن في صحتها، ممثلاً ذلك في وضع الأحاديث والكذب على رسول الله ﷺ في العصور الأولى، ثم في الطعن في صحة الأسانيد والمتون في العصور المتأخرة من قبل المستشرقين. وهذا هو أقل أذى تعرضت له السنة. ولا حاجة لنا للكلام عنه، فقد كفانا علماء الحديث مؤونة تمييز الصحيح من الضعيف، كما أن حجج المستشرقين واهية، وقد رد عليهم وفضح تعصبهم غير واحد من العلماء.

ثانياً: الجهل بالسنة وهو الأذى الآخر الذي تعرضت له السنة. وكما أن الإنسان عدو ما يجهل فإن الجاهل بالشيء عدو له دون أن يدري. وقد قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل.

إن اقتحام أناس لميادين ليسوا لها أهلاً أمر يرفضه الإسلام ويرفضه العلم وترفضه الموضوعية . والسنة ميدان له أهله وتخصص له رجاله . وإنه ليشتد عجب المرء حينما يرى المسلمين وقد جبنوا عن الكلام في غير تخصصاتهم ، لكن الجرأة تأخذهم إلى الكلام في دين الله بغير علم ، ولا يدرون أن ذلك من أعظم الكبائر وسنتكلم عن هذا الأذى بالتفصيل مع الأمثلة فيما يأتي .

ثالثاً : أما الخطرُ الأدهى والأمرُ الذي يُهدد السنة دوماً وكان خطراً حقيقياً فعلاً ، فهو ممن يدعون أنهم مسلمون ويزعمون أنهم يعلمون . ويتمثل ذلك في دعواهم أن السنة فوق مدارك عقولنا وأنه بناء على ذلك فإن من الأسلم عدم أخذ الأحكام منها والاتجاه إلى بطون كتب الفقه للإفادة منها وحدها ووحدها فقط .

ومع أنه يبدو للناظر لأول وهلة في هذه الحجج والدعاوي حسن القصد وطيب النية بل الإخلاص للسنة وصاحبها أيضاً . إلا أنه سيظهر لنا حينما نستعرض هذه الحجج أن في نصح أصحابها ريق الحية وحمة العقارب ، وأن الأمر فيه ما فيه من مكر وخديعة . فتعالوا بنا نرى ما يقول هؤلاء المخلصون :

أولاً : سيقولون إن هناك ضرورة تقتضي قصر العمل بالأحاديث وفهمها على العلماء الأوائل ، ويزعم هؤلاء أن السنة لا تبلغ إليها مدارك المسلمين الآن ، ومن هنا فإنه حفاظاً عليها يرون أن لا تؤخذ منها الأحكام ، وأن يركن إلى أقوال الفقهاء واجتهاداتهم ويُسلم لهم فهذا أسلم . إننا لن نُسيء الظن بهؤلاء ، لكن أليس حبهم للسنة ينطبق عليه المثل القائل «عدو عاقل خير من صديق جاهل» . ففي الوقت الذي طعن فيه المستشرقون بالسنة ، ولم ينالوا منها خيراً ، جاء هؤلاء ليضعوها في المتحف حفاظاً عليها من فهم المسلمين لها ، ولم يدروا أن هذا القول ينسف الإسلام من أساسه . إذ من السهل أن يستنتج الآخرون منه ما يلي : بما أن حديث رسول الله ليس بيناً واضحاً ، بل هو غامض علينا ، فإنه بناء على ذلك لا يكون الإسلام صالحا لهذا العصر ، بل لعصر خاص مضى وانقضى ، عصر كان من الممكن فيه فهم

السنة . وبما أن السنة لا يمكن فهمها ، فإن القرآن من باب أولى لا يمكن فهمه ، وبهذا نفقد الاتصال بمصدري الإسلام الأصليين ، مما يهيء الفرص لتحريف الإسلام وتزويره ، وأن يحل به ما حل بغيره .

ثانيا : إنهم يدعون إلى إلحاق الفقه بالكتاب والسنة في المكانة والأهمية . وسنناقش هذه القضية بالتفصيل إن شاء الله حينما نعرض لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الفقه والسنة .

ثالثا : إنهم ينادون بالعمل بالضعيف من الأحاديث ، وبعضهم يرى قصر العمل بالضعيف على فضائل الأعمال ، وهذا أمر خطير . إذ إن التهاون في هذا الباب يفتح باب العمل بالضعيف في أبواب أخرى من الإسلام . وهل بلغ الجهل بهؤلاء إلى التعامل مع الضعيف على أنه حديث ، والحق أنه ليس حديثاً لأن شروط الصحة لم تتوفر أصلاً في الاسناد ، ونحن ندعوه حديثاً كما نطلق على المنسوب كذباً إلى رسول الله ﷺ حديثاً موضوعاً . وتناسى هؤلاء أمراً آخر هو أن هناك من الآيات والأحاديث الصحيحة في فضائل الأعمال ما فيه الكفاية وما يغنينا عن الضعيف .

رابعاً : أنهم يُحَذّرون المسلمين من خطورة العمل بالحديث ، ويزعمون أنه ليس هناك اتفاق بين علماء الحديث على الصحيح والضعيف ، فما يراه فلان صحيحاً يراه الآخر ضعيفاً . ما معنى هذا القول؟ معناه أنه لا وجود للسنة أصلاً في الإسلام ، وهذا إنما يدل على سوء قصد لا على جهل . وللعلم فقط أقول : إن ما اختلف عليه علماء الحديث (وهذا هو المهم علماء الحديث المتخصصون) ما اختلفوا على تصحيحه وتضعيفه ليس بالكثير .

خامسا : يزعمون أن خبر الآحاد لا يصلح مصدراً للعقيدة لأنه ظني ونحن بدورنا نقول :

أ ـ قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ المؤمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً ، فَلَولا نَفَرَ مِن كلِّ فِرقَةٍ منهم طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّين ، ولِيُنذِرُوا قومَهُم إذا رَجَعُوا إليهِم لَعَلَّهم يَحْذَرُون﴾

[التوبة : ١٢٢] وذلك يشمل العقائد والأحكام العملية . والطائفة في اللغة تقع على الواحد فما فوق ، فلو أن حديث الآحاد ليس حجة في العقائد لما حضّ الله تعالى الطائفة على التبليغ .

ب ـ إن القول بأن حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة هو في نفسه عقيدة . وبناء على ذلك وجب على أصحابه أن يأتوا بالدليل القاطع على صحة هذا القول . والحق أنه لا دليل لهم إلا أقوال بعض العلماء . وكما يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني : «لقد فروا من القول بالظن الراجح في العقيدة ، فوقعوا فيما هو أسوأ منه وهو قولهم بالظن المرجوح فيها»(١)

ج ـ قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ ما ليسَ لك بهِ علم﴾ [الاسراء : ٣٦] أي لا تتبعه ولا تعمل به . ولو لم يكن خبر الآحاد حجة في العقيدة ، لما رأينا المسلمين من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ويعملون بها في العقيدة مثل أشراط الساعة وإثبات صفات الله . ولو صح ما ذهب إليه الرافضون للأخذ بخبر الواحد في العقيدة لكان السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم قد قَفَوْا ما ليس لهم به علم .

د ـ يحتج القائلون بعدم جواز الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة بقولهم : إن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظن ، الشيء الذي لا يجوز الأخذ به في الأخبار الغيبية وفي مسائل العقيدة ، وإن كان يجوز الأخذ به في مسائل الأحكام .

والسؤال الذي يطرح نفسه عليهم هو : ما هو دليلهم على التفريق بين أدلة المسائل العملية وبين أدلة المسائل العقدية ؟

هـ ـ لم يرد على الإطلاق ما يشير إلى تفريق الصحابة (سواء في حياة الرسول أو بعد وفاته) بين حديث الآحاد في العقيدة والأحكام ، بل العكس من ذلك فقد ورد ما يفيد أنه حجة في كلا الموضوعين .

و ـ وردت أحاديث أخبار تفيد العلم اليقين في كثير من الأحيان . وهذا يثبت

(١) محمد ناصر الدين الألباني ، الحديث حجة بنفسه في الاحكام والعقائد ، ص ٤٨ .

بطلان ما ذهب إليه القائلون بأن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظن، من ذلك ما ساقه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بقوله: «من ذلك الأحاديث التي تلقتها الأمة بالقبول. ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما مما لم يُنتقد عليها فإنه مقطوع بصحته، والعلم اليقيني النظري حاصل به، كما جزم به الإمام ابن الصلاح في كتابه «علوم الحديث» (ص ٢٨ ـ ٢٩) ونصره الحافظ ابن كثير في (مختصره) ومن قبله شيخ الاسلام ابن تيمية، وتبعه العلامة ابن قيم الجوزية، في «مختصر الصواعق» (٢/٣٨٣)، ومثل له بعدة أحاديث، منها حديث عمر: إنما الأعمال بالنيات وحديث: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل» وحديث ابن عمر: «فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر في رمضان على الصغير والكبير والذكر والأنثى وأمثال ذلك»(١)

ز ـ إن القول هو قول علماء الحديث لا غيرهم، فهم أصحاب التخصص، وقد تلقى أهل الحديث خبر الآحاد بالقبول والتصديق، فهو ولا شك يفيد العلم واليقين. بل إن معظم أحاديث البخاري ومسلم من أخبار الآحاد.

نتائج تعطيل السنة وآثاره:

فيما يلي بعض النتائج التي يمكن أن تنشأ من تعطيل السنة، بحجة عدم إمكان استيعابها وفهمها من الأجيال المتأخرة والحاضرة.

١ ـ إنه لو صحت تلك الدعاوي، فإنه يمكن أيضاً أن تصح فيما يخص القرآن الكريم. وهذا يؤدي بالتالي إلى وضع كتاب الله العزيز أيضا في المتحف، واعتماد كتب الفقه على أنها الإسلام أولاً والإسلام آخراً.

٢ ـ إن تعطيل السنة إنما هو تعطيل للكثير من الإسلام، فالقرآن كما هو معلوم جاء بالقواعد الكلية، أما التفصيل فقد قامت به السنة خير قيام، ولذا فإن السنة تحتوي على الكثير الكثير من تشريعات الإسلام، فلو صح القول بعدم فهم السنة

(١) محمد ناصر الدين الالباني، الحديث حجة بنفسه في الاحكام والعقائد، ص ٥٨

لعطل كل هذا الكثير مرة واحدة .

٣ ـ إن تعطيل السنّة إنما هو تعطيل للقرآن ، فالسنّة كما هو معلوم شرح للقرآن ، وهي مفسرة لنصوصه ومبينة لمعناه بتخصيص عامه ، وبتقييد مطلقه ، وتوضيح مشكله ، وبيان مجمله وتفصيل أحكامه ، وتعيين مبهمه ، وتعليل محكمه ، ودفع إيهام اضطرابه ، فلو صح القول أنه يستحيل على الأجيال المعاصرة فهم السنّة ، فإن في ذلك إعلانا صريحاً عن استحالة فهم القرآن ، فهل يعي أولئك ما يقولون ؟

٤ ـ لو صحّت دعاوي هؤلاء لعنى ذلك أن كل ما قام به علماء الحديث من جهود جبارة خلال عشرات السنين ذهبت أدراج الرياح ، وأنه لا قيمة له !! في الوقت الذي تُعتبر فيه تلك الإنجازات الحديثية العظيمة مفخرةً للإسلام والمسلمين .

٥ ـ قال تعالى : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسولَ فَقَدَ أَطاعَ الله﴾ [النساء : ٨٠] فلا طاعة لله دون طاعة رسوله ، ولا طاعة لرسوله دون فهم السنة ، وهؤلاء يقولون بعدم إمكان فهمها ، وعلى هذا تستحيل طاعة الله ، وهو ما لم يقل به عاقل ، لأنه سيكون من باب التكليف بما لا يطاق ، وهو عبث ، والله تعالى منزه عن العبث .

٦ ـ يقول تعالى : ﴿فَإِن تَنازَعتُم في شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسولِ﴾ [النساء : ٥٩] فإذا اختلف المسلمون في شيء فينبغي تلمس الحل في الكتاب والسنة ، وحيث إن هؤلاء عطلوا السنة ، فهم بذلك أوصدوا أبواب الحل لمشاكل المسلمين إذا اختلفوا .

٧ ـ قال تعالى : ﴿وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهاكُم عَنْهُ فانْتَهُوا﴾ [الحشر : ٧] فكيف يمكن الأخذ بما أمر به الرسول والانتهاء عما نهى عنه دون فهم سنّته ﷺ .

٨ ـ قال تعالى : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنونَ حتى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمّا قَضَيتَ ويُسَلِّموا تسليماً﴾ [النساء : ٦٥] وقال تعالى :

﴿وما كانَ لمُومنٍ ولا مؤمنة إذا قَضَى الله ورسوله أمراً أن يكونَ لهم الخِيَرَةُ مِن أمرِهِم ومن يَعْصِ الله ورسولهُ فقد ضل ضلالاً مُبيناً﴾ [الأحزاب : ٣٦] فما جواب هؤلاء عما يلي :

أ ـ هل ما يطالبون به هو تسليم للسنة أو لآراء العلماء؟؟

ب ـ كيف يمكن أن يتم التسليم للسنة دون فهم معناها؟؟

٩ ـ قال ﷺ : «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عَليَّ الحوضَ»(١). فما جواب هؤلاء عما يلي ؟

أ ـ كيف يمكن لنا الاعتصام والتمسك بشيء لا يمكن لنا فهمه واستيعابه ، بل هو فوق مدارك عقولنا؟

ب ـ هل ما يطالبون به ينسجم مع الحديث أو يخالفه؟

١٠ـ يقول عليه السلام : «إني قد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»(٢) فماذا يمكن أن يقال بعد قوله عليه السلام : «ليلها كنهارها»؟ وماذا يمكن أن يقال بعد قوله ﷺ «لا يزيغ عنها إلا هالك» .

١١ـ القائلون بأن السنة فوق مداركنا لا يدركون خطورة ما يقولون ، فقولهم ذلك يقود إلى أحد استنتاجين :

أ ـ إما ان السنة لا تصلح لكل عصر ، وهذا هدم للإسلام من أساسه .

ب ـ أو أن قدراتنا أقل من استيعاب السنة بسبب جهلنا ، وهم حتماً لم يقصدوا ذلك . لأنهم لو ارادوه لطالبوا بحصر ذلك على أهل العلم ، ولطالبوا بحظر التعامل مع السنة على من يجهلون فن التعامل معها . وأدوات فهمها متوفرة في كل عصر ، وكل من أراد استعمالها أمكنه ذلك بعد أن يستكمل العدة ، وهذا أمر معلوم

(١) حديث صحيح اخرجه الحاكم في المستدرك عن ابي هريرة رضي الله عنه ، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢٩٣٤

(٢) اخرجه احمد وابن ماجة والحاكم وصححه الالباني في تخريج كتاب السنة لابن ابي عاصم (٢٧/١)

للجميع .

وهكذا نرى أن دعوى الاعتماد كلية على اجتهادات العلماء وإقصاء السنة عن الواقع العملي بحجة قصورنا عن استيعاب ما أرادته الأحاديث الشريفة ، إنما هي دعوى ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب ، وأن نية هؤلاء حتى لو صحّت لا تكفي للدفاع عنهم ، لأن النية في الإسلام وإن كانت هي أساس الشيء ، إلا أنها ليست الشيء كله . فينبغي أن يعلم أنه لا بد من تصحيح النية وتصحيح العمل . وما فعله هؤلاء ليس من صحيح العمل .

يقول ابن تيمية في كتابه الشهير «رفع الملام عن الأئمة والأعلام» ما نصه : «واعلم أن هذه السبيل هي التي يجب سلوكها ، فإن ما سواها طريقان خبيثان :

أحدُهما : القول بلحوق الوعيد لكل فرد من الأفراد بعينه ، ودعوى أن هذا عمل بموجب النصوص ، وهذا أقبح من قول الخوارج المكفرين بالذنوب والمعتزلة وغيرهم ، وفساده معلوم بالاضطرار ، وأدلته معلومة في غير هذا الموضع .

الثاني : ترك القول والعمل بموجب أحاديث رسول الله ﷺ ظناً أن القول بموجبها مستلزم للطعن فيما خالفها ، وهذا الترك يجر إلى الضلال واللحوق بأهل الكتابين الذين ﴿اتَّخَذوا أحبارَهُم ورُهبانَهُم أرباباً من دونِ الله والمسيحَ بن مريم﴾ [التوبة : ٣١] فإن النبي ﷺ قال : «لم يعبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فاتبعوهم وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم»(١) ويفضي إلى طاعة المخلوق في معصية الخالق ، ويُفضي إلى قبح العاقبة وسوء التأويل المفهوم من فحوى قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الرَّسولَ وأُولي الأمرِ مِنكُمْ ، فإن تَنازَعتمُ في شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسولِ إن كُنْتمُ تؤمنون بالله واليومِ الآخر ، ذلكَ خيرٌ وأحسنُ تأويلاً﴾ [النساء : ٥٩] .

ثم إن العلماء يختلفون كثيراً فإن كان كل خير فيه تغليظ خالفه مخالف ترك القول بما فيه من التغليظ أو ترك العمل به مطلقا لزم من هذا من المحذور ما هو أعظم

(١) سبقت الاشارة اليه ص ١٤

من أن يوصف من الكفر والمروق من الدين ، وإن لم يكن المحذور من هذا أعظم من الذي قبله لم يكن دونه .

فلا بد أن نؤمن بالكتاب ، ونتبع ما أنزل إلينا من ربنا جميعه ، ولا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، وتلين قلوبنا لاتباع بعض السنة وتنفر عن قبول بعضها بحسب العادات والأهواء ، فإن هذا خروج عن الصراط المستقيم ، إلى صراط المغضوب عليهم والضالين »(١).

البدعة والسنة :

ما هي البدعة؟ وما حكمها؟ وما هي أنواعها؟ وما العلاقة بينها وبين السنة؟ وما العلاقة بينها وبين الاجتهاد؟ وهل ما أدخله الصحابة يمكن عده بدعة؟ وما هي آثار البدع؟

أولا : ما هي البدعة : ـ

عرفّ العلماء البدعة بتعاريف متعددة كلها تلتقي على معنى واحد هو أنها الحدث في الدين بعد الإكمال . أو ما استُحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال ، أو ما أُحدث على خلاف الحق المُتَلَقَّى عن رسول الله ﷺ . وقد استخدم الصحابة اصطلاح البدعة مقابل السنة ، فعدّوا كل خروج على السنة من قبيل البدعة .

وبتحديد أدق فإن «البدعة» المنصوص على ضلالتها في الشارع هي :

أ ـ كل ما عارض السنة من الأقوال أو الأفعال أو العقائد ولو كانت اجتهاداً .

ب ـ كل أمر يُتقرب إلى الله به وقد نهى عنه رسول الله ﷺ .

جـ ـ كل أمر لا يمكن أن يشرع إلا بنص أو توقيف ، ولا نص عليه ، فهو بدعة إلا ما كان عن صحابي .

د ـ ما ألصق بالعبادة من عادات الكفار .

---

(١) ابن تيمية ، رفع الملام عن الائمة الاعلام ، ص ٣١

هـ ـ ما نصّ على استجابة بعض العلماء سيما المتأخرين منهم ولا دليل عليه.

و ـ كل عبادة لم تأت كيفيتها إلا في حديث ضعيف أو موضوع.

ز ـ الغلو في العبادة.

جـ ـ كل عبادة أطلقها الشارع وقيدها الناس ببعض القيود مثل المكان أو الزمان أو صفة أو عدد(١)

ثانيا : مصادر البدعة :

لا شك أن مصدر البدعة ليس هو الدين، بل هو خلافه، من ذلك ما يلي:

١ ـ الأحاديث الضعيفة. ومعلوم أن الحديث الضعيف لا تجوز نسبته إلى الرسول ﷺ، ولا يجوز الاحتجاج به، كما لا يجوز الأخذ به حتى في فضائل الأعمال.

٢ ـ اجتهادات واستحسانات غير مدعومة بأدلة شرعية.

٣ ـ عادات وتقاليد اجتماعية وخرافات بالية توارثها الناس ثم اعتقدوا أنها من الدين وهي لا تمت إليه بصلة.

ثالثاً : حكم البدعة : ـ

والبدعة من الكبائر، إذ إن الكبيرة هي المعصية التي يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب. وقد ورد الوعيد للمبتدع في الدين قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ»(٢) أي من أنشأ واخترع. قال المُناوي في «فيض القدير» في شرحه لهذا الحديث: أي أنشأ واخترع وأتى بأمر حديث من قِبَل نفسه، قال ابن الكمال: الإحداث إيجاد شيء مسبوق بزمان. والمراد بقوله: «في أمرنا» أي دين الإسلام. وقال عليه السلام في حديث له «وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»(٣) وقال عليه السلام «فمن رغب عن سنتي

(١) محمد ناصر الدين الالباني، تلخيص احكام الجنائز، ص ٩٥ـ٩٦

(٢) حديث صحيح سبقت الاشارة الى تخريجه ص ٤٥

(٣) رواه ابو داود وابن ماجة والنسائي.

فليس مني»(١). أو ليس ترك السنة إلى البدعة من هذا القبيل؟ أو ليس هذا توعداً صريحاً؟

رابعـــاً :

أدخل بعض المسلمين مفهوم البدعة الحسنة والسيئة في الإسلام، وهذا لا أصل له. وهو تقسيم يعد بحد ذاته بدعة، وهو من تلبيس إبليس. جاءوا به ليسوغوا الإحداث في الدين. وإن ذلك ليس جهلاً وحسب، بـل هو مخالفة صريحـة لرسول الله ﷺ الذي يقول: «وكل بدعة ضلالة» وهم يقولون «بدعة حسنة وبدعة سيئة». أما ما يروونه من قول عمر بن الخطاب «نعمت البدعة»، فسوف نناقشه عند الكلام عن العلاقة بين البدعة والحديث الموقوف.

غير أن للبدعة تقسيمات صحيحة نوردها من أقوال العلماء، قال العلاّمة الشقيري في كتابه «السنن والمبتدعات» إن البدعة تقسم إلى قسمين: بدعة دينية وبدعة دنيوية، فكل بدعة في الدين ضلالة كما نص عليه رسول الله ﷺ. وهي (الدينية) أقسام:

أولا: البدعة المكفرة كدعاء غير الله والاستغاثة به.

ثانيا: البدعة المحرمة كاتخاذ القبور مساجد أو الصلاة عليها.

خامساً :

لقد خلط البعض بين مفهومي البدعة والسنة. والحق أنه وإن كان ﷺ أشار بصراحة إلى أن كل بدعة ضلالة إلى النار، إلا أنه بين أن هنالك سنة حسنة، وسنة سيئة. والسنة هنا ينبغي أن تفهم في ضوء الحديث الشريف وهو قوله ﷺ «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(٢).

(١) سبقت الاشارة اليه ص٤٥.

(٢) حديث صحيح اخرجه مسلم والترمذي وابن ماجة والنسائي عن جرير بن عبد الله.

لقد استدل أهل البدع بالحديث الآنف الذكر على مشروعية البدعة الحسنة، ولذا كان من الضروري معرفة مناسبة الحديث حتى لا يُحتج به في غير موضعه وسببه ما أخرجه أحمد ومسلم عن جرير بن عبدالله البجلي قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار والقباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة قال فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال: يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة إلى آخر الآية، وقرأ الآية التي في الحشر: ولتنظر نفس ما قدمت لغد، يتصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء. وأخرج أحمد عن حذيفة قال: سأل رجل على عهد رسول الله ﷺ فأمسك القوم ثم إن رجلا أعطاه فأعطى القوم، فقال النبي ﷺ: من سن خيراً فاستن به كان له أجره ومن أجور من يتبعه غير منتقص من أجورهم شيئاً، ومن سن سوءاً فاستن به كان عليه وزره ومن أوزار من يتبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً. أوزارهم شيئاً.

وهكذا فإن في الحديث فضل الابتداء بالخير والتحذير من الابتداء بالشر، وانه الثواب يتضاعف للأول والعقاب يتضاعف على الثاني، وليس في الحديث ما يدل على البدعة الحسنة والسيئة، بل العكس فإن المبتدع كيفما اتفق ينطبق عليه قوله ﷺ «ومن سن في الإسلام سنة سيئة . . .» وعلى هذا يظهر لنا أن أي إضافة أو نقصان في الدين فهو بدعة، وهو بالتالي مرفوض لأن الدين كمل في زمنه ﷺ، وقد جاءنا كاملاً. أما

الزيادات والتحسينات في مجال الدنيا فمقبولة، إذا كانت غير مخالفة لقواعد الإسلام، وهي حينئذ سنة حسنة، ومرفوضة إذا كانت مخالفة لإحدى قواعد الإسلام وهي حينئذ سنة سيئة.

سادساً: الاجتهاد والبدعة:

قد يسأل بعض الناس فيقول: إذا كانت كل إضافة بدعة، فالاجتهاد إذن من هذا القبيل، لأنه باب أضاف به العلماء إلى الإسلام الكثير.

والجواب: إن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده. أما الاجتهاد فهو استنباط الحكم الشرعي من دليله وفق شروط معينة. هذا فرق رئيسي بين الاجتهاد والبدعة، وفرق آخر هو أن الاجتهاد له مجال محدود، «فلا اجتهاد في مورد النص»، وهذه قاعدة شرعية، ولا اجتهاد في العبادات ولا العقائد. والبدعة هي إضافة للدين في ميدان ومجال تعد الإضافة فيه محظورة تماماً، وهي أيضاً إضافة دون دليل.

سابعا: الحديث الموقوف والبدعة:

الحديث الموقوف هو ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل. والكثير من العلماء يعده مصدراً تشريعياً. يقول عليه الصلاة والسلام «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمّر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(١). ويقول «اقتدوا باللَّذيْن من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود»(٢) وفي حديث موقوف لابن مسعود يقول فيه

(١) صحيح، اخرجه الترمذي وأحمد وابو داود وابن ماجة والحاكم عن العرباض بن سارية، انظر صحيح الجامع الصغير ٢٥٤٦.

(٢) حديث صحيح اخرجه الترمذي (٢/ ٣١١) والحاكم (٣/ ٧٥) عن عبد الله بن مسعود، انظر سلسلة الاحاديث الصحيحة ١٢٣٣

«إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه سيئا فهو عند الله سيء»(١). والمسلمون هنا هم الصحابة كما فسر ذلك علماء الحديث وليس المسلمين أجمعين.

ازاء كل هذه المعطيات، لا يمكن أن يقال إن ما رآه الصحابة من أمور معينة هو من باب البدعة، فالصحابة هنا استثناهم رسول الله ﷺ فمن يجرأ على الاعتراض؟ ومن يريد أن يدخل في استثناء لم يُدخله فيه رسول الله ﷺ؟ وهل يحل بعد كل هذا أن يأتي قوم فيسوون بين الصحابة وغيرهم، ويطلبون لأنفسهم الحق الذي كان لتلاميذ مدرسة النبوة، الذين عاصروا نزول القرآن، وكانوا خير من نطق بالضاد.

ثامنا: إن العلاقة بين السنة والبدعة عكسية، فما أميتت سنة إلا وأحييت بدعة والعكس صحيح قال التابعي الجليل حسان بن عطية رحمه الله: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم، إلا نزع من سنتهم مثلها»(٢) والأمثلة على ذلك كثيرة فقد هجر الناس سنة التزوار فيما بينهم طوال العام وهذه سنة، واستعاضوا عنها بالزيارة في الأعياد والمناسبات فقط وهذه بدعة. وهجر الناس سنة لقاء المسلمين بعضهم في المساجد طوال السنة، واستعاضوا عنها بالاحتفالات بالمولد النبوي ومناسبات كالهجرة وغيرها.

إن سر تمسك الناس بالبدع ورفضهم لهجرها ومقاومتهم للتمسك بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه هو أن هذه البدع غدت عادات اجتماعية راسخة يلتزمون في التمسك بها بالمبدأ القائل ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون. قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ الزخرف ٢٣ ـ ٢٤

---

(١) حسن موقوف، أخرجه الطيالسي واحمد وغيرهما بسند حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي انظر شرح العقيدة الطحاوية ٥٣١

(٢) اخرجه الدارمي باسناد صحيح

ولذا فإن من ينادي بإماتة البدعة وإحياء السنة كان دوماً محارباً منْ قبل الكثير من العلماء والمشايخ . ليس لأنه ينادي باستئصال دين صحيح ، بل لأنه يقاوم عادات فاسدة أقامها الناس مقام الدين . ومن أجل هذا حورب ابن تيمية وابن قيم الجوزية وغيرهما ممن كان على منهجهما وسبيلهما وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فقال «طوبى للغرباء» قيل ومن الغرباء يا رسول الله؟ فقال ناس صالحون قليل في ناس سوءٍ كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»(١).

تاسعا : آثار البدع : ـ

إن البدع هي نقط سوداء قاتمة في صفحة الإسلام البيضاء ، وهي التعبير الحي عن الفرق الواضح بين الإسلام وممارسات المسلمين . والبدع لا تشكل عناصر التشويه في جمال الإسلام فحسب ، بل إنها كذلك عناصر صبغ الإسلام بالصعوبة والتعقيد بعد أن نزل على نبي الرحمة سهلاً ميسراً . ولذا فإن كل ما يبدو في الإسلام تعقيداً إنما هو بسبب البدع .

والأدهى من ذلك كله أن البدع أكثر العناصر تفتيتاً للأمة وهدم وحدتها . إذ كيف يمكن أن يكون الدين واحداً إذا فتح باب البدع . إذ ستُحدث أشياء جديدة ، ومع مرور الزمن الطويل سيكون هناك دين آخر غير الذي جاء به محمد ﷺ عن ربه . لكن والحمد لله لم يكن الأمر كذلك بسبب دفاع العلماء عن السنة ، واستماتتهم في استئصال كل دخيل حتى يظل الإسلام نقياً صافياً ، تماماً كما قال ﷺ ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة ، قيل من هم يا رسول الله؟ قال : الذين على ما أنا عليه وأصحابي»(٢) وأيضاً فإنه إذا فتح باب البدعة ، فمن الذي يقرر من له الحق في إدخال بدعة جديدة ومن ليس له الحق؟ أضف إلى ذلك أن البدعة هي اعتداء على حق الله في التحليل والتحريم وتشريع عبادات وفرض عقائد . وهذه كلها حق لله تعالى وحده لا يشاركه فيه حتى أكرم الخلق ﷺ ، فهو ليس سوى مبلغ

(١) صحيح ، أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧٧ ، ٢٢٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص

(٢) حسن ، أخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً،وله ما يشهد به

عن ربه ، «وما على الرسول إلا البلاغ المبين» النور : ٥٤ فما بالك بمن هو دونه ﷺ ، والمسلمون كلهم دونه عليه السلام .

عاشراً : وأخيراً فإن البدعة هي اعتراف غير مباشر بأن الإسلام لم يكمل ، ولذا اقتضى الأمر الزيادة فيه ، وإلا فما معنى هذه الزيادة ؟؟ وهذا مناقض لقوله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم» . والبدعة أيضاً اعتراف غير صريح بأن الإسلام غير صالح لكل زمان ومكان ، ولنأخذ مثالاً على ذلك ، فإنك لو قلت لمن يحتفلون بالمولد النبوي هذا بدعة فإنهم سيعللون ذلك بما يلي :

الاحتفال بالمولد النبوي لم يكن زمن رسول الله ﷺ لأن المسلمين لم يكونوا بحاجة لذلك ، لقوة دينهم وتقواهم . أما الآن فهناك حاجة . ورسول الله كان بينهم وهو ليس معنا ، فما المانع أن نجمع الناس لنذكرهم بدينهم ؟ وما المانع أن نحبب الناس بنبيهم ونجمعهم ليصلوا عليه ﷺ .

إن هذا الكلام في غاية الخطورة للأسباب التالية :

أولا : إنه اعتراف واضح أن الدين الذي كان عليه الصحابة لم يعد صالحاً لهذا الوقت ، الذي ابتعد الناس فيه عن الإسلام ، فاقتضى الأمر إحداث شيء جديد يناسب هذا الزمان .

ثانياً : إن في هذا الجواب دلالة بينه على الجهل بالإسلام . فقد جهل هؤلاء أن في الإسلام عشرات الوسائل والأسباب لجمع الناس على الدين وتذكيرهم به .

ثالثاً : إن صاحب هذا الجواب قد لبس الحق بالباطل . فقد سوّغ عمله المغلوط بالقصد الصحيح . فقصده شريف طيب كما يزعم ، وهو أنه محب لرسول الله ، وهو أيضاً يريد جمع الناس ليعظهم . ونحن لا نشك في صحة قصده ، تماماً كما أننا لا نشك في خطأ أسلوبه وعمله . وهنا فإنني أود أن أنبه مرة ثانية وثالثة إلى ضرورة صحة العمل بجانب صحة النية ، وأن القصد الصحيح لا يكفي ، وإنما لا بد من

صحة العمل أيضاً . فالله عز وجل تعبدنا بالنية الصحيحة والعمل الصحيح .

رابعاً : لقد غفل هؤلاء أن المولد بدعة مجوسية أدخلها العبيديون الزنادقة (الذين كانوا يدعون زوراً وبهتاناً فاطميين نسبة إلى فاطمة رضي الله عنها) أيام حكمهم لمصر .

السنـــة والفقــه :

ما هي طبيعة العلاقة بين السنة والفقه ، أو قل بين السنة والتقليد؟ وهل الدعوة للرجوع إلى السنة تعني رفض الفقه؟

إنه وإن كان الداعون للالتزام الحرفي بالمذهبية يرفضون الأخذ بالسنة ، الا أن الداعين للالتزام بالسنة لا يرفضون الأخذ بالفقه ، أما ما يصدر عن البعض من رفض مطلق للفقه ولما صرح به علماء المذاهب ، فهذا في الحقيقة لا يمثل موقف علماء السنة ، سواء منهم الأوائل أو المعاصرون وإنما هو جهل من هؤلاء وحماس للسنة في غير موضعه .

على أنه يمكن تلخيص موقف علماء السنة والسلف للفقه الإسلامي بالنقاط التالية : ـ

١ ـ المكتبة الفقهية الإسلامية الضخمة ليست كلها من تأليف أئمة المذاهب الأربعة ، فما كتبه هؤلاء مؤلفات معدودات . وجاء أئمة كل مذهب من بعدهم فزادوا وشرحوا وأضافوا ، مما تكوّن معه بمرور مئات السنين كتابات فقهية غزيرة تعد بعشرات المئات من الكتب ، منها الغث ومنها السمين ، منها الصحيح ومنها الخطأ . ومن هنا فإن لنا الحق في أخذ ما نريد ورد ما نريد ، حسب أصول معينة طبعاً ، لا حسب الهوى ، وإذا رددنا شيئاً فإنه ليس رفضاً ولا اعتراضاً لما جاء به الشافعي وأبو حنيفة ومالك وابن حنبل ، وإنما هو رد لبعض ما جاء به شراح كل مذهب من بعدهم .

٢ ـ كتب الفقه متنوعة ومختلفة ، منها ما جمع بين الرأي الفقهي ودليله ، ومنها ما لم يفعل ذلك . وحينما عكف المتخصصون في الحديث من أئمة كل مذهب على دراسة هذه الأحاديث التي استعملت كأدلة وجدوا منها الصحيح والضعيف ، فعمدوا جزاهم الله خيراً إلى خدمة مذاهبهم بتخريج الأحاديث التي اعتمدت في المذاهب كما فعل الزيلعي بواحد من أهم الكتب في الفقه الحنفي وهو «الهداية» ، فخرج أحاديثه بكتابه «نصب الراية» . وكما فعل ابن حجر بتخريج أحاديث كتاب الرافعي في الفقه الشافعي بكتابه «تلخيص الحبير» .

٣ ـ إن المذاهب الفقهية نفسها تتفاوت في بضاعتها الحديثية فاعتمد أبو حنيفة رضي الله عنه القياس بشكل واضح . واعتمد الإمام مالك رضي الله عنه عمل أهل المدينة . أما الشافعي وابن حنبل فقد اعتمدا أكثر من غيرهما على الحديث . وقد كان ابن حنبل نفسه محدثاً كبيراً فجمع المسند المشهور باسمه . وقد فات بعض الأئمة بعضُ الأحاديث ، وهو أمر لا يقدح فيهم أبداً .

٤ ـ غير أن ما سلف لا يقدح في علم السلف رضي الله عنهم ، ولا يُقلل من قيمته ، ولذا فإن موقفنا نحو كتب الفقه ينبغي أن يكون واضحاً جلياً كما يلي :

أ ـ لا إفراط ، فلا نأخذ بحرفية ما جاء في هذه الكتب دون تمحيص ، ولا نتعامل معها كأنها نصوص مقدسة ، كل ما جاء بين دفتيها صحيح لا ريب فيه . فهذا شأن القرآن فحسب . بل إن السنة نفسها التي تعلو على كلام أي فقيه أُخذ منها الصحيح ورُدَّ الضعيف على أهله . ومن هنا فإن التقليد الأعمى في الإسلام مرفوض إلا أن يكون للكتاب والسنة الصحيحة ، وهو حينئذ لا يسمى تقليداً ، إنما يسمى اتباعاً !!

ب ـ لا تفريط ، فلا نرفض كل ما جاء على ألسنة الفقهاء ، فهذا أمر خطير . وإذا كنا لا نرفض التصوف على عمومه وهو الذي دخله ما دخله من عقائد الهندوسية والنصرانية ، بل نأخذ منه ما وافق الكتاب والسنة ونرفض منه ما خالفهما ، فكيف

يسمح بعض المسلمين لنفسه أن يرفض ما جاء في كتب الفقه بالكلية .

إن الداعين لرفض كل ما ورد في كتب الفقه يدعون لأمر خطير، شأنه في ذلك شأن الدعوة للأخذ بكل ما جاء في تلك الكتب .

٥ ـ ولذا وجب الجمع بين الفقه والحديث وفق الأسس التالية :

أ ـ إخضاع الفقه للحديث إذا تعارضا في مسألة من المسائل ، وقد قال بذلك ودعا المسلمين إليه كل الأئمة دون استثناء . فقد قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى :

«لا يحل لأحد أن يأخذ قولنا ما لم يعلم من أين أخذناه»(١) . وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى «إنما أنا بشر اخطىء وأصيب ، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»(٢) وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله فقولوا بسنة رسول الله ، ودعوا ما قلت»(٣) وقال أيضاً للإمام أحمد بن حنبل «أنت أعلم بالحديث مني فما صح عندك فأخبرنا به لنعمل بمقتضاه»(٤) .

أما الإمام أحمد رحمه الله تعالى فكان يقول «لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا»(٥) وقد اتفق الأئمة الأربعة على أن حديث النبي حجة بنفسه حيث قالوا : «إذا صح الحديث فهو مذهبي»(٦)

ب ـ إن فوات أحاديث على إمام من الأئمة لا يقدح في علمه . فلا يحيط بالسنة النبوية أحدٌ ، والكمال لله عز وجل . وإذا كان قد فات الإمام جزء يسيرٌ تتعذر الأمثلة عليه فليس من منطق العقل والعلم أن نحسب حكم النادر على الكل . لكن ينبغي

---

(١) ابن عبد البر، الانتقاء، ص ٢٠

(٢) الفلاني، ايقاظ الهمم، ص ٧٢

(٣) النووي، المجموع شرح المهذب جـ ١، ص ٦٣

(٤) ابن عبد البر، الانتقاء، ص ٧٥

(٥) ابن قيم الجوزية، اعلام الموقعين، جـ ٢، ص ٣٠٢

(٦) انظر رسالة السبكي «معنى قول الامام المطلبي اذا صح الحديث فهو مذهبي» الواردة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢/٩٨)

أن يعلم أن تعاملنا مع الشافعي وابن حنبل ومالك وأبي حنيفة ، ليس بنفس الطريقة التي نتعامل بها مع العلماء المتأخرين لكل مذهب . فمن العلماء المتأخرين من لا يؤخذ بالكثير من أقواله . والمجتهدون كما هو معلوم درجات ، وليس كل عالم بدرجة أولئك الأئمة ، فيبقى الحديث حكماً ومقياساً على أقوال هؤلاء وأولئك .

جـ ـ فيما يلي بعض الأمثلة على تناقض الفقه والحديث في بعض المسائل وهي : نقض الوضوء ، وتزويج المرأة نفسها .

١ ـ بعض المذاهب الفقهية ترى أن من ينام إذا كان ممكناً مقعده لا ينقض وضوؤه . والرسول ﷺ يقول «العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ»(١) .

٢ ـ الاحناف يقولون بإباحة أن تزوج المرأة نفسها إذا كانت ثيباً . والرسول ﷺ يقول : «لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها»(٢) وهذا عام في البكر والثيب ، فلا بد أن يكون لها ولي .

د ـ إن الحاق الفقه بالكتاب والسنة في المكانة والأهمية أمر خطير . فالفقه هو فهم الكتاب والسنة ، وهو أمر يحتمل الخطأ والصواب . أما نصوص الكتاب والسنة الصحيحة فلا تحتمل إلا الصواب . أضف إلى ذلك أن هذا التراث الفقهي الهائل هو مجموعة ضخمة من أقوال العلماء واجتهاداتهم ، وهي بحاجة لمن يحكم عليها ، فمن يكون الحكم إن لم يكن القرآن والسنة ؟؟ «**نبئوني بعلم إن كنتم صادقين**» الأنعام : ١٤٣

هـ ـ إن كثرة كتب السنة تيسر الاستفادة منها ، وتوفرها للباحثين المعاصرين ميسور أكثر من توفرها للسابقين . وقد تيسرت الاستفادة منها بالطباعة والفهارس المختلفة أكثر من تيسر استفادة المتقدمين منها . فمن السهل الاعتماد عليها وأخذ الثابت منها ، وترك غيره ، وتثبيت الأحكام الفقهية التي دل الدليل عليها ، وتنقيح

(١) حديث صحيح اخرجه احمد في مسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٤٠٢٥

(٢) حديث صحيح أخرجه ابن ماجة عن ابي هريرة ، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٧١٧٥

الفقه مما لا دليل عليه.

و ـ إن القول: إن عبارات السنة غامضة، جهلٌ بالسنة أو عدم اعتراف لصاحبها الذي عرف ببلاغته وفصاحته ﷺ. والعجب أن من يتنطع بهذا القول وينادي بالالتزام والتقييد بكتب الفقه، يتجاهل أن عبارات بعض هذه الكتب تكاد تكون ألغازاً، قد لا يفهمها أصحابها الذين وضعوها لو قرأوها مرة اخرى. نأخذ مثالاً على ذلك من واحد من أهم المراجع في الفقه الحنفي وهو «الهداية» للمرغيناني، ونختار فقرة تتكلم عن زواج البكر، يقول صاحب الكتاب: «وخيار البلوغ في حق البكر لا يمتد إلى آخر المجلس ولا يبطل بالقيام في حق الثيب والغلام، لأنه ما ثبت باثبات الزوج بل لتوهم الخلل فإنما يبطل بالرضا، غير أن سكوت البكر رضا بخلاف خيار العتق، لأنه ثبت بإثبات المولى وهو الإعتاق فيعتبر فيه المجلس كما في خيار المخيرة»(١).

أنبئوني هذا أوضح وأبين أم قوله ﷺ: «لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها» وقوله عليه السلام «الثيب تعرب عن نفسها، والبكر رضاها صمتها»(٢).

ز ـ إن مطالبتنا بإخضاع الفقه للحديث لا تعني الاجتهاد، فالاجتهاد هو بذل الجهد للتوصل إلى الحكم الشرعي العملي من دليله التفصيلي. وما نطالب به هو أن تدرس السنة دراسة صحيحة، وأن تؤخذ الأحكام منها ومن الفقه، فما تعارض بينهما جعلت السنّة حكماً عليه.

ح ـ ومن حسن حظ المسلمين أن هناك مراجع تعد أمثلة عملية ممتازة على الموقف الذي ينادي علماء السلف باتخاذه ـ اعني اخضاع الفقه الحديث ـ وان يكون المتفقة على اطلاع واسع على أحاديث رسول الله ﷺ. فلدينا مثالان هما «المغني» لابن قدامة في الفقه الحنبلي «والمجموع شرح المهذب» في الفقه الشافعي، فهذان مثالان رائعان للجمع بين السنة والفقه، وإخضاع الثاني للأول.

(١) المرغيناني، الهداية، جـ ١، ص ١٩٩

(٢) حديث صحيح أخرجه احمد وابن ماجة عن عميرة الكندي، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٣٠٧٩

ط ـ أخيراً فإن القول أن المذهبية أسلم يعني الخضوع التام لآراء مذهب ما، هو قول خطير يتضمن ما يتضمن من الشرك، فإن الله تعالى لم يتعبد أحداً من خلقه باتباع أحد مهما سما قدره في العلم ما دام غير معصوم. وهنا فليس من باب التكرار أن نعيد ذكر ما ورد من أن عدي بن حاتم سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخذوا أحبارَهُم ورُهبانَهم أرباباً من دونِ الله﴾ [التوبة: ٣١] فقال إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت بلى، قال: فتلك عبادتهم.(١)

قال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون الى رأي سفيان، والله تعالى يقول ﴿فَليحذرِ الذينَ يُخالفونَ عن أمرِهِ أن تصيبَهُم فِتنةٌ أو يُصيبهم عذابٌ أليمٌ﴾. [النور: ٦٣]

الجهل بالدين هو الداء ليس غير:

سنتناول الآن بعض الأمثلة وهي ليست سوى نماذج تبين خطورة الكلام بجهل في الدين بعامة وفي السنة بخاصة.

١ ـ يزعم البعض أنه لو كان مدلول المحدثة هو ما استحدث بعد النبي لكان جمع القرآن من المصاحف محدثة وبدعة وضلالة، ولكان جمع عمر بن الخطاب الناس في صلاة التراويح محدثة وبدعة. والجواب عن ذلك فيما يلي:

لقد سبق لنا الحديث عن العلاقة بين الحديث الموقوف والبدعة. وقد وردت تزكية الرسول للصحابة وخاصة أبي بكر وعمر، فقال عليه السلام «اقتدوا باللذيْن من بعدي أبي بكر وعمر»(٢) وقال ﷺ في عمر «إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك» وقال فيه أيضاً «قد كان في الأمم قبلكم محدثون (أي ملهمون) فإن يكون في أمتي منهم أحد، فإنه عمر بن

(١) سبقت الاشارة اليه ص ١٤
(٢) تمت الاشارة اليه ص ٨٩

الخطاب» متفق عليه .(١)

هذا بشكل عام عن الصحابة وعن عمر. أما جمع عمر الناس في صلاة التراويح؟(٢)، فإن عمر حينما فعل ذلك لم يفعله ابتداءً، فقد ورد في سنن أبي داود ما يفيد حث الرسول على قيام صلاة الليل مع الإمام في رمضان، كما أنه ﷺ جمع الناس على التراويح ثلاث ليال. وكما يروي عنه جابر في الصحيحين «ولكن خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها».

أما الاحتجاج بقول عمر (نعمت البدعة هذه) فيرد عليه ابن تيمية بقوله: «وأما قول عمر (نعمت البدعة هذه)، فأكثر المحتجين بهذا لو أردنا أن نثبت بقول عمر الذي لم يخالف فيه لقالوا قول الصاحب ليس بحجة فلا يعتقده إذا خالف الحديث، فعلى التقديرين: لا يصح معارضة الحديث بقول الصاحب، نعم يجوز تخصيص عموم الحديث بقول الصاحب الذي لم يخالف على إحدى الروايتين، فيفيدهم هذا حسن تلك البدعة أما غيرها فلا، ثم نقول أكثر ما في هذه تسمية عمر تلك بدعة، مع حسنها، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية، وذلك لأن البدع في اللغة تعم كل ما فعل ابتداء على غير مثال سابق، أما البدعة الشرعية فكل ما لا يدل عليه دليل شرعي، فإذا كان نص رسول الله ﷺ قد دل على استحباب فعل أو إيجابه بعد موته أو دل عليه مطلقاً، ولم يعمل به إلا بعد موته، ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر رضي الله عنه، فإذا عمل أحد ذلك العمل بعد موته صح أن يسمى بدعة في اللغة لأنه عمل مبتدأ، كما أن نص الدين الذي جاء به النبي ﷺ يسمى بدعة ويسمى محدثاً في اللغة، ثم العمل الذي يدل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة، وإن سمي بدعة في اللغة، فلفظ البدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في الشريعة، وقد علم ان قول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة» لم يرد به كل عمل مبتدأ،

(١) اخرجه البخاري ومسلم عن عائشة.

(٢) انظر السيوطي، «الحاوي للفتاوي»، جـ ١ ص ٣٤٧ـ ٣٥٠، تحت عنوان «المصابيح في صلاة التراويح»

وإنما أراد من الأعمال التي لم يشرعها هو ﷺ(١)

٢ ـ يزعم آخرون أن لفظة محدثة لا يراد بها الشيء يستجد، بدليل أن الذي ينتقض وضوءه يسمى محدثا لا لأنه أتى بشيء جديد، لم يكن معروفاً وإنما لأنه أتى بأمر نقض فيه عرى طهارته.

وجواب ذلك ما ورد في لسان العرب: بدعه: أنشأه وابتدعه، وفيه بَدَعَ الخلق أحدثهم لا على مثال سابق. والبَدْع: الأمر الذي يكون أولاً. وفي المصباح: أبدعت الشيء وابتدعته: استخرجته وأحدثته. ومنه قيل للحالة المخالفة بدعة. أما وجه الشبه بين من نُقض وضوئه ويسمى محدثاً، وبين من يأتي بشيء جديد يضيفه إلى الدين، ويسمى أيضاً محدثا، فهو أن كليهما يجمع بينهما نقض شيء، فالأول نقض وضوءه بأحد نواقض الوضوء، والثاني نقض عروة من عرى الإسلام بتعديه على حق الله في التشريع. وقد ورد في الحديث الصحيح: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة. . . . »(٢)

٣ ـ أما سنة الجمعة القبلية، وهي بدعة اعتقد الكثير مشروعيتها، واحتجوا لها بما لا يصلح دليلاً فذكروا ما يلي دليلاً على مشروعيتها:

أ ـ إنه روي عن ابن عمر أنه كان يصلي قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً، وأنه كان يصلي قبل الجمعة فيطيل الصلاة.

ب ـ قوله (ﷺ) «بين كل اذانين صلاة لمن شاء»(٣)

والحق أنه ليس هناك تناقض بين ما أورده هؤلاء وبين عدم وجود سنة قبلية للجمعة. فنحن لا نمنع الناس من الصلاة قبل الجمعة، طالما أن هذه الصلاة ليست سنة قبلية، فللمسلم أن يصلي تحية المسجد أو نفلاً تقرباً إلى الله. وصلاة ابن عمر

(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧

(٢) حديث صحيح رواه احمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن ابي امامه، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٤٩٥١.

(٣) حديث متفق عليه، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢٨٤٧

كانت من هذا القبيل ، وما ورد من قوله عليه السلام «بين كل آذانين صلاة» فهو حديث صحيح لكن الاحتجاج به دليل على عدم الإحاطة بالسنة من قريب او بعيد . فهاتان ركعتان يسن للمسلم أن يصليهما بين الأذان والاقامة من كل صلاة من الصلوات ، والمراد بين كل آذانين : الآذان والإقامة لكل صلاة لا كما فهم بعض الناس بين الآذان الأول والثاني ، لأنه لا يوجد إلا أذان واحد لصلاة الجمعة . كما أنه لم يرد في الحديث ما يشير للجمعة ، بل وردت كلمة(آذانين)نكرة .

إننا لا نريد أن نجعل من سنة الجمعة القبلية قضية المسلمين الأولى ، ولكننا نرفض أي مبدأ وأي طريق تضاف فيه عبادات جديدة للإسلام الذي كَمُلَ عقيدةً وعبادةً وأصولاً منذ زمن رسول الله ﷺ .

٤ ـ ولبعض الناس ما يظنون انها حجة على من يحارب البدع بأنه يسد أبواب الخير والجواب :

ـ أليس الإسلام هو الخير كله ؟

ـ ألم يأت في الإسلام من أبواب الخير ما يكفي حتى نفتح أبواباً أخرى؟

ـ وهل ترك الإسلام باباً من الخير لم يفتحه للناس؟

ـ وهل الخير يكون باتباع ما جاء في الدين أم بالابتداع والإضافة ؟

ـ أم هل يريد بعض المسلمين أن يكونوا أكمل من الرسول ﷺ وصحابته الذين اكتفوا بما شرعه الله لهم؟ فإذا أرادوا ذلك فليراجعوا إذن إيمانهم .

ـ أم هل يا ترى أن المسلمين الآن فعلوا كل ما أمرهم الله به ، وطلبوا المزيد فاخذ بعضهم يُشَرّع بفتح أبواب أخرى للغير؟

ويستدل هؤلاء بما روي من أن النبي ﷺ في حجة الوداع كان ينزل عليه القرآن وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملناه ، فأهلَّ بالتوحيد لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . واهل

الناس بهذا الذي يهلون به ، فلم يرد عليهم رسول الله شيئاً ، ولزم رسول الله تلبيته .

٥ ـ ولآخرين دعوى مفادها : إن الادعاء القائل أن كل شيء في العبادة لا بد فيه من الاتباع ، ولا تجوز فيه المخالفة ، ادعاء غير صحيح ، وأن النبي ﷺ ترك لنا جزئيات نتصرف فيها بما لا يغير شكل عبادة منصوص عليها .

والحق أن القاعدة الشرعية تفيد أنه لا اجتهاد في مورد النص كما تقدم وأن العبادة والعقيدة لا يجوز الاجتهاد فيهما ، وهذا ما اجمع عليه المسلمون قاطبة .

أما الحديث الذي استدلوا به ، فليس فيه ما يؤيد دعواهم . إذ من المعروف أن سنة رسول الله ﷺ هي قوله أو فعله أو إقراره . وسكوته ﷺ عمن زاد في التلبية عن تلبيته ﷺ هو من باب الإقرار فمن الآن يُقرُ أحداً أو يخالفه عن وحي ؟ ! ولا وحي بعد رسول الله عليه وسلم فليس هناك ما يفيد ما ذهبوا إليه من استدلالهم بالحديث .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أمثلة من الانحراف والتحريف المعاصرين

إن تعدد أوجه الانحراف والتحريف ليس أمراً غريباً، فالباطل متعدد والحق واحد. ولذا فليس عجباً أن نرى تشابهاً في سبب مظاهر التحريف، وهو البعد عن منهج الكتاب والسنة، وأن نرى تعدداً في نتائج الابتعاد عن هذا المنهج.

وفيما يلي عرض لبعض مظاهر الانحراف والتحريف في القرن العشرين:

١ ـ دعوى أن دور الإسلام مشابه لدور الأديان الأخرى، مقصور على تحديد وتنظيم العلاقة بين الخالق والمخلوق. وأن الإسلام لم يأت كمنهاج حياة شامل. وهذا إنما هو ترديد للمفهوم اللاهوتي الغربي للدين، ومحاولة لفصل الدين عن الدولة كما حصل في أوروبا.

٢ ـ العمل والأخذ ببعض الإسلام وترك بقية الإسلام، مثل التزام الناس بالعبادات والشعائر الدينية، وإهمالهم الالتزام بالأحكام الشرعية فيما يخص النظام الاجتماعي مثلاً، فلا تظهر فيهم سمات المجتمع المسلم.

٣ ـ تحريف مفهوم صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان على حساب الإسلام وأحكامه، فإذا ما اختلطت العائلات في الزيارة رجالاً ونساءاً، واحتج أُناس، قِيل إن هذا ينسجم مع روح الإسلام الصالح لكل زمان ومكان. وهكذا أصاب هذا المفهومَ نوعٌ من الميوعة جعلت في ادعائه وترديده شبهة واستنكاراً.

٤ ـ دعوى التوفيق بين الأصالة والمعاصرة. ويريدون بالاصالة الإسلام، والمعاصرة روح العصر الحديث. ويكفي هذه الدعوى شراً وخطراً أنها تترك الانطباع بأن الدين وأحكامه لا تتلائم مع العصر الحديث دون تعديل أو توفيق بينهما، ونحن نعتقد خلاف ذلك وأن الأصالة وحدها تكفي، ففيها المعاصرة نفسها.

٥ ـ المطالبة بالالتزام بروح الإسلام لا بنصوصه، في محاولة لنسف أوامر الإسلام ونواهيه. وتحقيقاً لهذا المطلب تم إطلاق أوصاف سيئة على الملتزمين، تشويهاً لصورتهم، وإثناءً لهم عن استقامتهم. وهكذا أصبح يطلق على المتمسك بدينه: متزمت، متشنج، متطرف، جامد، حرفي، متعصب. ومقابل ذلك طالب هؤلاء بالالتزام بروح الإسلام لا بنصوصه، وبالأفكار المعقولة المعتدلة في محاولة لتمييع القضية من أساسها وفي محاولة خبيثة للإشارة بطريقة غير مباشرة إلى وجود أفكار غير معقولة وغير معتدلة في الإسلام.

٦ ـ تحريف المسلمين للمصطلحات التي تدل على أمور منكرة، وإطلاق الفاظ جميلة وأسماء مقبولة في محاولة لتجميل تلك الأمور لجعلها مقبولة لدى الناس، فأطلقت المشروبات الروحية على الخمر، والإكرامية على الرشوة، والفائدة على الربا، والفنانة على الراقصة التي تعبث بجسدها، والشيخ على الساحر، والتحرر والعصرية على التحلل من قيود الأخلاق. وقد أشار رسول الله ﷺ إلى بعض هذه الأمور فقال: «ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها»(١).

٧ ـ استعمال مصطلحات غريبة لوصف الإسلام، كوصف الإسلام بأنه دين ديمقراطي، أو الإشارة إلى اشتراكية الإسلام، أو أن الإسلام دين اشتراكي. مما لا يجوز اطلاقه على الإسلام، فالإسلام هو الإسلام، والمسلم هو المسلم.

٨ ـ إطلاق لفظ التراث على الإسلام، وهو لفظ لطيف يطلق في محاولة ذكية لإعطاء الانطباع بأنه لا صلة له بالحاضر أو المستقبل. يقول الأستاذ أنور الجندي: «مفهوم التراث لا ينطبق على الفكر الإسلامي الحي المتجدد الفعّال وإنما ينطبق على الفكر الروماني المبتوت المنقطع الذي انفصل ألف عام ومن ثم فقد حق ان يكون موضع المراجعة والنظر والانتقاء»(٢).

---

(١) حديث صحيح رواه ابو مالك الاشعري وأخرجه ابو داود (٣٦٨٨) وابن ماجة (٤٠٢٠)

(٢) انور الجندي، شبهات في الفكر الاسلامي، ص ٥٤

٩ ـ حصر الإسلام في مؤسسات معينة وفي أناس معينين. وهذا ما أصاب اليهودية والنصرانية من قبل. وهكذا حصر الإسلام في مؤسسات دينية ورجال دين. لكن ذلك لا ينفي الحقيقة الخالدة أنه لا توجد منظمة دينية ولا رجال دين في الإسلام. وكما أنه لا رجال دين في الإسلام، غير ان في واقع المسلمين رجالَ دين. وكما أنه لا كهنوتية في الإسلام، غير أن في واقع المسلمين طبقة تتصف إلى حد ما ببعض صفات الكهنوتية.

وأن نظام الإسلام وإن كان لا يمنع من وجود وزارات مختلفة، لكن لا على أساس حصر الإسلام بواحدة منها، فحصر الإسلام في وزارة معينة وعزل الإسلام عن المؤسسات الاخرى بداعي التخصص ونحوه أمر ليس من الدين في شيء.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القسم الثاني

معالم الهدى الى فهم الاسلام

١ ـ التجديد: معناه الصحيح ومعانيه غير الصحيحة.

٢ ـ العنصر الأساس في التجديد.

٣ ـ التجديد في فهم العقيدة.

٤ ـ تجديد التفسير.

٥ ـ تجديد الفقه.

٦ ـ دور السلطة السياسية في حماية الدين من التحريف.

٧ ـ الثقافة الاسلامية والغزو الثقافي.

٨ ـ خاتمـــة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التجديد: معناه الصحيح ومعانيه غير الصحيحة

رأينا كيف كان الانحراف بقصد أو غير قصد عملية مستمرة وبشكل خاص فيما يخص فهم الإسلام، وأنها نجحت فيما يخص الفهم إلى حد ما وفي بعض الأوساط بسبب الجهل، وأنها فشلت تماماً فيما يخص تحريف النصوص.

ومن هنا فإن عملية أخرى ينبغي أن تواكب الانحراف المقصود أو غير المقصود، ونعني بها التجديد، وذلك للأسباب التالية:

١ ـ إن طبيعة تركيب الأمة الاسلامية من أجناس شتى دخلت وتدخل في الاسلام باستمرار يخلق وضعاً صعباً وخطيراً، إذا لم توجد الضمانات الكافية لحمايته من التحريف.

٢ ـ إن تحريف الإسلام أمر بالغ الخطورة، ذلك أنه إذا كان تحريف الأديان الأخرى شيئاً قبيحاً، فإن تحريف الإسلام أشد قباحة وأفدح خطورة، نظراً لأنه خاتم الأديان والرسالات، فلو حُرّف لظل على تحريفه، لأنه لن يأتي بعده ما يصححه.

٣ ـ إن مؤامرات المنافقين من أبناء هذه الأمة من الداخل ومؤامرات أعدائها من الخارج وجهل المسلمين بدينهم وابتعادهم عن المصدرين الأصليين (الكتاب والسنة) للمعرفة الدينية، بالإضافة لداعي الهوى والتقليد، كل ذلك يدعو لاستمرار تجديد الدين وإعادة روح الأصالة إليه باستمرار.

٤ ـ إن قوة الإسلام وقوة المسلمين تكمن في أسباب أهمها وضوح صورة الاسلام الأصلية في أذهان المسلمين، وبعكس ذلك يكون الضعف وقد أصاب أنور الجندي إذ يقول: «الواقع أن الغرب يخشى الإسلام في مفهومه الصحيح لأنه يحول دون نفوذه ووجوده وسيطرته ويرفع المسلمين إلى مقاومته وتحرير أرضهم»(١).

(١) أنور الجندي، شبهات في الفكر الاسلامي، ص ٢٤

٥ ـ ومن هنا فإنه ينبغي التأكيد على أهمية القيام بصيانة الإسلام من العناصر الأجنبية الدخيلة ومقاومتها، وتلك مسؤولية كل مسلم قال تعالى: ﴿لِتكونوا شهداءَ على النَّاسِ ويكونَ الرَّسولُ عَليكُم شَهيداً﴾ [البقرة: ١٤٣]. ولهذا لازمت حركات الإصلاح الديني تاريخ المسلمين طول القرون الأربعة عشر التي مرت على ظهور الإسلام. فما خلا قرن من مصلح فتح بصائر الناس وصقل أرواحهم مما ران عليها، وحركهم بعد تحجر وبعثهم بعد جمود وأضاء لهم طريق الحق وسبيل الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض.

ماذا يعني تجديد الإسلام؟؟

ما من شك أن التجديد لا يعني التغيير أو التحول عن المبادىء والأهداف، والتبعية لجميع التيارات الفكرية أو المادية أو الذهاب مع الأهواء والشهوات، لأن هذا لا يسمى تجديداً بل يسمى انحلالاً وتفككاً وذوباناً وموتاً. لأن جميع الأديان والمذاهب العالمية والأحزاب الكبرى لا يمكنها أن تثبت ذاتيتها وتفرض وجودها وتدعم وسائل بقائها إلا إذا كان لها دستور واضح ومبادىء محدودة وأهداف معينة محترمة ومنهاج حاكم لا محكوم.

كما أن التجديد لا يعني الإتيان بشيء جديد أو سلوك طريق جديد، فهذا إنما هو خلط بين الإسلام وغيره وتوفيق بين الإسلام وما يناقضه، في حين أن التجديد يعني تنقية الإسلام من العناصر الأجنبية الدخيلة ولا يعني التوفيق بينها وبين الإسلام.

والحق أن تجديد الإسلام هو الإتيان به جديداً كما كان، ولا يكون ذلك إلا بعد درس بعض معالمه. فالتجديد ارتقاء وتقدم بالأمة لتسلك طريقها مرة اخرى، وهذا لا يكون مرة واحدة بل هو ضروري كلما ابتعد المسلمون عن الصحيح الأصيل المتوارث من لدن رسول الله، قال ﷺ: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل

مائة سنة من يجدد لها دينها»(١).

إن لفظ الحديث يتضمن الأمر والحث على التجديد والتشويق إلى احراز هذه الفضيلة العظيمة. فالحديث كقوله تعالى: ﴿**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً**﴾ [الآية ١٤١ النساء] فالآية خبر بمعنى أنه لم يجعل ذلك شرعاً لنا، ولكنها تفيد النهي أيضاً. ومن هنا فإن تجديد الدين مسؤولية الأمة وهو فرض كفاية، على العلماء أن يقوموا به وإلا انقلب إلى فرض عين وأثمت الأمة كلها بإهماله. قال ﷺ: «ان الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء. قيل: من هم يا رسول الله قال: الذين يصلحون اذا فسد الناس»(٢)

غير أنه مما يجب ان يلفت النظر إليه أن التجديد بمعان معينة مرفوض، فالتجديد بمعنى التطوير والتطور، تبعاً لتقدم الزمان والعصر أمر لا تقره الشريعة، فالأحكام الشرعية لا تتغير بتغير الأزمنة، لأن الزمان ليس عامل تغيير بالنسبة للأحكام.

أما تغيير الحكم للمسألة الواحدة بتغيير العلة فهذا ليس تطوراً وتغييراً في الشريعة. بل هو أحد أهم خصائصها وهو المرونة. وحتى هذه المرونة لا تتسم بها مبادىء الإسلام كلها. فهناك مبادىء ثابتة لا يمكن أن تتغير بتغير الزمان والمكان، ويجب حتماً أن لا يلحقها تطوّر تشريعي.

فيجب إذن أن نفرق بين الجوهري من الدين وهو أصوله التي تضمنتها نصوصه الصريحة الواضحة مما يعد دستور الاسلام، وبين احكامه المبنية على علة متبدلة أو عرف متغير أو مصالح اقتضتها الحاجة. فأما ما هو جوهري فإنه خالد باق لا يقبل التغيير، وأما ما عداه فإن أحكامه قابلة للتغيير لا للتطور، وهذا التغيير محكوم بعلة الحكم، لا بحكمة الحكم.

---

(١) صحيح، عن أبي هريرة، اخرجه ابو داود (٤٢٩١)، انظر لتخريجه الالباني، سلسلة الاحاديث الصحيحة جـ ٢، ص ١٥٠.

(٢) سبقت الاشارة اليه ص ٦.

إن الإسلام فكر متكامل كامل قادر ذاتياً على الاستجابة لكل المشاكل المتجددة، فلا حاجة إلى إدخال عناصر غريبة عليه بقصد تطويره، لأن إدخال هذه العناصر يعني أنه غير كامل وغير قادر، هذا إذا كان بحاجة لهذه العناصر، وإن لم يكن بحاجة إليها فلا فائدة منها.

إن تطويع العقيدة أو الشريعة أو أي مظهر منهما لدعاوي التطوير الخاطئة هي إدانة للإسلام بأنه غير كامل. هذا إذا افترضنا حسن القصد، أو على أسوأ الأحوال هي عملية مقصودة ترمي إلى تشويه الإسلام وتحريف مساره الصحيح وتمييع الثابت منه ليلائم الأهواء البشرية المتبدلة والمتغيرة.

ولا ريب أن هناك فجوة بين الإسلام والواقع الذي تعيشه البشرية، وحتى تزول هذه الفجوة: فأمامنا ثلاثة حلول يجب أن نختار منها واحداً؟!

١ ـ أن يكيَّف الواقعُ لكي يتلاءم مع الإسلام.

٢ ـ أن يكيَّف الإسلام لكي يتلاءم مع الواقع.

٣ ـ أن يحدث التكييف بقدر متساوٍ بين الاثنين.

وأنه مما لا يحتاج لبرهان أو دليل أن متطلبات الحياة متجددة، وهذا التجدد دائم مستمر. والسؤال الذي يطرح نفسه بهذا الصدد هو: هل تخضع الشريعة لمتطلبات الحياة المتجددة، أم تخضع متطلبات الحياة المتغيرة والمتجددة للشريعة؟ ويمكننا أن نضع السؤال بطريقة أخرى: هل نخضع المتغير للثابت أم نخضع الثابت للمتغير؟. إن الثابت إذا خضع للمتغير لم يعد ثابتاً بل أصبح متغيراً، وبالتالي فإنه لم يعد صالحاً لأن يخضع له المتغير.

ومما لا ريب فيه أن العقل البشري متفاوت ومختلف، بل العقل الواحد متغير ومتفاوت. ومن غير المعقول ولا المقبول أن يخضع الثابت الإلهي للمتغير البشري، فالمتغير بحاجة دائمة إلى ثابت يرعاه ويضبطه. والثبات لا يعني الجمود وعدم القدرة

على حل المشاكل، والشريعة جمعت بين العنصرين: الثبات والمرونة، ففي الثبات أصالة وفي المرونة معاصرة، والثاني يخضع للأول وينبثق منه. والأمر يجب أن لا ينظر إليه من حيث الثباتُ والجمودُ، فلا يرفض الثابت لأنه ثابت. بل يجب أن ينظر إليه من حيث صلاحيته، فإن كان صالحاً فنعم، وإن لم يكن صالحاً فيرفض، لا لكونه ثابتاً بل لكونه غير صالح. الشيء الذي يقال ايضاً عن القديم والجديد، فلا يرفض القديم لقدمه، ولا يقبل الجديد لأنه جديد، وإنما ينظر للصلاحية أولاً وأخيراً.

والاعتقاد بصلاحية الإسلام، ـ كما هو ـ لكل زمان ومكان جزء من الاعتقاد بالإسلام أصلاً. فلا يصح إسلام مسلم ما لم يعتقد ذلك ويجزم به.

مرونة الإسلام ذاتية لا إضافية:

والإسلام صالح لكل زمان ومكان وحده، دون تعديلات إضافية عليه. ومرونة الإسلام نابعة من ذاته، لا حاجة لأن تضاف إليه عناصر مرونة أجنبية ودخيلة. ومتى طوّعنا الإسلام للعصر بادخال تعديلات عليه غير نابعة من قواعده وأصوله، فإننا نكون بذلك قد سلكنا مسلك أهل الأديان الأخرى قبل الإسلام.

وحينما نقول: إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، فإن ذلك لا يعني بحال أن الإسلام صالح لكل مجتمع. فصلاحية الإسلام للمجتمعات البشرية مرهونة بتطويع تلك المجتمعات للإسلام وتبنيها الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة، لا بتطويع الإسلام وتعاليمه لثقافتها وأسلوب حياتها كما هو.

والأدلة على مرونة الإسلام كثيرة، نستقيها من الإسلام نفسه، وهي بذلك تثبت أن مرونته ذاتية، من هذه الأدلة:

١ ـ إن المسألة الواحدة لها عدة أحكام بحسب الأحوال والظروف، فأكل لحم الخنزير حرام بدليل قوله تعالى: ﴿**إنَّما حَرَّمَ عليكُم المَيْتَةَ والدَمَ ولَحمَ الخِنْزيرِ وما أُهِلَّ به لغيرِ الله**﴾ [البقرة: ١٧٣]. ولكنه ينقلب إلى واجب مرة واحدة في حالة الضرورة،

وهي إذا فقد الإنسان أي نوع آخر من الطعام، وشارفت نفسه على الهلاك، فإنه يصبح في هذه الحالة واجباً بدليل قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩] وقوله تعالى: ﴿ولا تُلقُوا بأيدِيكُم إلى التّهلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] لكنه سرعان ما يعود إلى حكمه الأصلي وهو التحريم إذا زالت العلة التي حكمت بوجوب أكله وهي الاضطرار.

٢ ـ الصوم في رمضان واجب على كل مسلم بالغ، لكن لو وقع الإنسان فجأة في المرض أو سافر سقط وجوب الصوم عنه قال تعالى: ﴿وَمَن كانَ مَريضاً أو على سَفَرٍ فَعِدَّةٌ من أيامٍ أُخَرَ يُريدُ الله بكم اليُسْرَ ولا يُريدُ بكم العُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

٣ ـ الطلاق: فمن المعلوم أن أحكاماً أربعة تعتري الطلاق، فيكون واجباً على من حلف أن لا يطأ زوجته مدة تزيد على أربعة أشهر إذالم يرجع للوطء، وعند الشقاق إذا رأى الحكمان المصلحة في التفريق، ومستحباً إذا كان الزوج مقصرا في حقها أو كانت غير عفيفة وإذا حصل الطلاق في طهر، ومحرماً وهو إيقاعه في حيض.

٤ ـ القرض: حكمه الأصلي سنة مؤكدة، لكنه قد يصبح واجباً للمضطر وحراماً لمن يستعين به على معصية.

٥ ـ من شروط الولي، وهو أحد أركان عقد النكاح، أن لا يكون فاسقاً. لكن الأمر يتغير إذا عم الفسق وشاع فتصحّ ولاية الولي الفاسق.

٦ ـ النظر إلى جسد المرأة حرام إلا لزوجها، لكنه ينقلب إلى مباح إذا اقتضت الضرورة أن يعالجها طبيب رجل وليس هناك طبيبة.

٧ ـ فرض العين وفرض الكفاية:

من المعلوم أن الفروض نوعان: فرض عين وهو ما يتعين على كل مسلم القيام به كالصلاة، وإذا قام به بعض المسلمين لا يسقط عن الآخرين بل لا بد من قيام الجميع به. وفرض كفاية وهو ما إن قام به بعض المسلمين سقط عن كافة الامة

كالجهاد وكالتطبيب والهندسة وصلاة الجنازة. غير أن فرض الكفاية إن لم يقم بـه بعض المسلمين انقلب إلى فرض عين فجأة وأصبح مسؤولية المسلمين جميعاً القيام به حتى يقوم به بعضهم فيعود الى وضعه الأصلي كفرض كفاية.

٨ ـ الاستثناءات الشرعية :

فقد استثنى الشارع أموراً معينة مما حرمه على الناس. فقد حرم الدم واستثنى الكبد والطحال. وحرم الميتة واستثنى ميتة السمك والجراد، وحرم كل ذي ناب من السباع يعدو بنابه واستثنى الضبع فقال عليه السلام «الضبع صيد فَكُلْها»(١).

وحرم الشارع أن يبيع الإنسان ما ليس عنده واستثنى السَّلَم (وهو بيع شيء آجل موصوف بالذمة بشيء عاجل) تيسيراً على الناس وتسهيلاً. ويبدو هذا التيسير واضحاً في مجال التجارة الخارجية.

٩ ـ العرف: إن جانباً غيرَ قليلٍ من الأحكام الشرعية له صلة وثيقة بالعرف، فكان دليلاً على مرونة الشريعة الإسلامية لا سيما في باب المعاملات. والعرف المعتد به عند المجتهدين هو الذي لا يخالف دليلاً أو أصلاً من أصول الشريعة. ومن أمثلته اعتماد العرف مسألة الكفاءة بين الزوجين، ومسألة النفقة التي يرتبط تحديدها وتقديرها بالأعراف المتغيرة.

ولعل أكبر مظهر من مظاهر الرعاية لعرف الناس يتجلى في مذهب الإمام الشافعي الذي تطورت آراؤه عندما انتقل من العراق إلى مصر، إذ عدل عن بعض ما دوّنه في مذهبه قبل أن ينتقل إلى مصر، متأثراً بعوامل كثيرةٍ من ذلك التأثر بالأعراف والعادات الجديدة التي تكّون منها مذهبة الثاني الذي عرف بالجديد.

١٠ـ قواعد التيسير في الشريعة وهي كثيرة منها:

أ ـ «المشقة تجلب التيسير» والمراد بها المشقة التي تسبب إحراجاً، فإنه يرفع عن

(١) طرف من حديث صحيح اخرجه البيهقي في السنن عن جابر رضي الله عنه، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٣٧٩٤.

المكلفين، أما المشقة الطبيعية في الحدود المعتادة التي يستلزمها عادة أداء الواجبات فلا مانع منها.

ب ـ «إذا ضاق الأمر اتسع واذا اتسع ضاق» ومعناها إذا ظهرت مشقة في أمر من الأمور الشرعية يرخص فيه ويوسع لتحصيله، فإذا انفرجت الضرورة وزالت عاد الحكم إلى أصله.

جـ ـ «الضرورات تبيح المحظورات» وهي مستفادة من استثناء القرآن الكريم حالات الاضطرار الطارئة في ظروف استثنائية، مثل جواز أكل المحرم كالميتة عند الضرورة اذا لم يجد غيرها وخشي الهلاك جوعاً أو عطشاً.

د ـ «الضرر الأشد يُزال بالضرر الأخفّ» فإذا كان الضرر الأشد لا يمكن دفعه إلا بتحمل ضرر أخف منه فإنه يتحمل الضرر الأخف لدفع وزوال الضرر الأشد.

هـ ـ «يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام» فقد ينشأ من تصرف إنسان ما ضرر عام، فعند ذلك يمنع من هذا التصرف وعليه أن يتحمل ضرره الخاص به دفعاً للضرر العام.

و ـ «درء المفاسد أولى من جلب المنافع» ومعنى ذلك أنه إذا كان فعل المأمور به أو المأذون فيه مستلزما لارتكاب أمر منهي عنه ترك هذا الفعل. لأنه من الحكمة القضاء على المفاسد في مهدها ولو ترتب على ذلك حرمان من منافع او تأخير لها.

١١ـ أسباب التخفيف في الشريعة:

استقرأ العلماء أسباب التخفيف في الشريعة فوجدوها سبعة وهي: ـ

أ ـ السفر: فيرخص به فطر رمضان وجواز المسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليهن وسقوط صلاة الجمعة والعيدين.

ب ـ المرض: ورخصه كثيرة منها:

١ ـ التيمم عند الخوف على نفسه أو على عضوه أو من زيادة مرضه أو بطئه.

٢ ـ القعود في الصلاة والاضطجاع فيها والإيماء بالركوع والسجود.

٣ ـ الفطر في رمضان.

جـ ـ الإكراه : ويرخص به للمُكْرَه إنْ هُدد بما يخاف على نفسه أو عضوه أن يتناول ما حرم عليه من المأكولات والمشروبات، كما يرخص للمكره على الكفر أن يجري كلمته على لسانه مع اطمئنان قلبه بالإيمان.

د ـ النسيان : فمن أكل وشرب ناسياً فهو على صومه لقول رسول الله ﷺ «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه»(١). وذلك إذا لم تكن هناك هيئة مذكرة فإن وجدت لم يكن النسيان عذرا كأكل المصلي أو شرابه ناسياً لأن للصلاة هيئة تذكره فلا يعذر بالنسيان فتبطل صلاته. ولا تأثير للنسيان في الحقوق والقضاء.

هـ ـ الجهل : فجهل الشفيع ببيع شريكه نصيبه في الدار التي يشفع بها لا يسقط حقه في الشفعة. وجهل الوكيل بعزله عن الوكالة لا يلزمه بتصرفاته الموكل فيها، بل تكون للموكل حتى يعلم بالعزل، يعني أن جهل الوكيل بعزل موكله له تستمر معه وكالته وتنفذ عقوده دفعاً للحرج.

و ـ العسر وعموم البلوى: كالتخفيف عمن به سلس بول أو انطلاق ريح دائم والحكم بطهارته مع وجود المانع منها.

ز ـ النقص: فإن الإكمال نوع من المشقة فناسب التخفيف كعدم تكليف الصبي والمجنون وعدم تكليف النساء بكثير مما وجب على الرجال كالجمعة والجهاد.

ومن هنا يتضح أن المشقة لكي تجلب التخفيف والتيسير لا يجب أن تكون تبلغ درجة الاضطرار الملجىء، بل يكفي أن تكون درجة الحرج والعسر مما تتكون به

(١) حديث صحيح اخرجه البخاري ومسلم واحمد في مسنده وابن ماجة عن ابي هريرة، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٦٤٤٩

حاجة ظاهرة إلى تدبير يعود بالأمر إلى السهولة واليسر وعلى هذا وضعت القاعدة القائلة «الحاجة تنزل منزلة الضرورة».

الثابت والمتغير : ـ

الثابت في الإسلام هو ما لا يتغير بتغير الزمان أو المكان، ولا يسوغ أن يكون محل اجتهاد. فأحكامه ثابتة باقية مهما تطورت الحياة، لأن المصالح التي رُوعيت في تشريعها ثابتة، وما بني على الثابت فهو ثابت. والمتغير هو ما يتغير بتغير الزمان والمكان.

وقد ترك الإسلام للعقل البشري مجالاً للاجتهاد في ضوء المصالح العامة على أن لا يخرج ذلك عن الأسس والقواعد التي جعلها الإسلام أصولاً عامة.

مواطن الثبات : ـ

أما مواطن الثبات فكثيرة منها:

١ ـ العقيدة: فهي ليست مجالاً للتطور لأنها مؤسَّسة على مبادىء ثابتة وحقائق لا تقبل التغير والتبدل بحال. فالإيمان بالله مثلا مبدأ أصيل وحقيقة يقينية لا محل لتغييرها ومثلها سائر العقائد الإسلامية: ﴿**شَرَعَ لَكُم من الدِّينِ ما وَصى بِهِ نوحاً والذي أوحينا إليْكَ وما وَصَّيْنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدِّينَ ولا تَتَفَرقُوا فِيه**﴾ [الشورى: ١٣]. ومن هنا كان هناك فرق بين الدين والشريعة، فالدين ـ والمراد به العقيدة ـ واحد لكل الأنبياء، ابتداء بآدم وانتهاء بمحمد ومروراً بكافة الرسل والأنبياء عليهم الصلوات. أما شرائعهم فهي مختلفة ومتفاوته ومن هنا قال العلماء: «الدين واحد والشرائع مختلفة».

٢ ـ العبادة: ـ أما العبادات فإن الله تعالى رسم حدودها، وهيأها على صور خاصة، وطلب من عباده أن يعبدوه بها، فالصلاة عبادة مؤلفة من أفعال خاصة وأقوال خاصة على ترتيب خاص، والصيام إمساك عن الطعام والشراب وجميع

الشهوات في أزمنة مخصوصة. والحج مناسك معينة لها رسومها وأوقاتها وأمكنتها وأركانها وشروطها وهكذا. ومن الواضح أنها ليست كالعقائد أي أنها ليست حقائق واقعية مهمة المُشَرِّع أن يكشف عنها وإنما هي صور ركبها وهيأها ورسمها وأنشأها بعد أن لم تكن وهذا يخص حقه باعتباره هو الإله المعبود. فمن حقه أن يشرع لعباده ما يعبدونه به، عليهم أن يرجعوا إليه في معرفة ذلك كمّاً وكيفاً ومكاناً وزماناً.

ولهذا يقول أهل الشريعة في إحدى قواعدهم المشهورة: «لا يعبد الله إلا بما شرع». فالأصل في العبادات والقُرب أنها ممنوعة حتى يرد من الشارع ما يدل على طلبها، ويبين لنا هيأتها ورسومها الخاصة، ولا يجوز لأحد أن يؤلف عبادة من عنده، أو يتصرف في صورة من صور العبادة المشروعة ثم يعبد الله بذلك، وفي هذا يقول القرآن الكريم ناعيا على المشركين: ﴿أم لَهُمْ شُرَكاءُ شَرَعُوا لَهُم مِن الدِّينِ ما لَم يأذَنْ بِهِ الله﴾ [الشورى: ٢١]، وقد سبق تفصيل ذلك عند الكلام على البدعة.

وبهذا الأصل أُبطلت البدع في الدين والعبادات وما يتصل بها. فكل من أراد القربة فعليه أن يتقرب إلى الله بما شرعه الله، ومن تقرب إليه بما لم يشرعه، ولو كان مظهره طاعة وقربة فإنه مبتدع متلاعب بالدين.

٣ ـ أحكام الحدود كحد الزنى وحد السرقة وحد القذف وحد الردة وحد الشرب، فهذه ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولعل من أسرار ثبوتها أهميتها وخطورتها، فهي تتصل بأهم الأسس التي ينبني عليها أي مجتمع بشري فقد شرعت هذه العقوبات لحماية الدين والعقل والنسل والمال والعِرض، ولذلك، لم تترك لاجتهاد البشر وتفكيرهم نظراً لأهمية ما يتصل بها وينبني عليها.

٤ ـ أحكام المقدرات كتقدير حصص الورثة بنصف أو ثلث أو ربع أو ثمن أو غير ذلك، فإن هذه الحصص غير قابلة للتطوير والتعديل والتغير على أساس رعاية المصالح.

مواطن التغيير : ـ

١ـ المعامـلات :

وأما موقف المشرع في ميدان المعاملات، فإنه يختلف اختلافاً جوهريـاً عن موقفه في كل من ميدان العقائد، وميدان العبادات.

إن الشريعة ليست هي التي أنشأت للناس صور التبادل والتعاون والتعامل، ولكنها جاءت فوجدت صوراً يتعامل الناس بها، فكان لها موقف منها، غير موقف الانشاء والرسم، وغير موقف الإخبار والوصف، ذلك الموقف هو موقف الإقرار، أو التعديل، أو الإلغاء، وهو ما يمكن لنا أن نسميه «أسلوب الناقد المهذب» وهي لا تتدخل في هذا الميدان إلا بمقدار ما تحمي مُثُلها ومبادئها التي جاءت بها: من العدل والتيسير والرحمة ودفع أسباب التشاحن والبغضاء وربط أفراد المجتمع برباط من المحبة، والتعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

وفي المعاملات مجال فسيح للتطور، إذ اكتفى الإسلام في كل ما يرجع إليها من أحكام دستورية واجتماعية واقتصادية ومدنية وجنائية برسم الخطوط العريضة، والكليات العامة، وترك التفصيلات والتطبيقات للمجتهدين يُجيلون فيها عقولهم بما يوافق مصالح الناس ويكفل حاجياتهم.

ومن هنا نرى أهل العلم بالشريعة كما وضعوا في جانب العبادات القاعدة التي ذكرناها، وهي «لا يُعبد الله إلا بما شرع» وضعوا في جانب المعاملات قاعدة اخرى مقابلة لها تقول: «المعاملات طلق حتى يرد المنع».

غير ان هذا لا يعني عدم وجود قواعد عامة وأصول وضوابط لا يجوز الخروج عنها ومخالفتها.

٢ ـ الأحكام الدستورية :

إذا نظرنا إلى الناحية السياسية، نجد النصوص تسطر الخطوط الرئيسية لنظام

الحكم في الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿**والّذينَ استَجابُوا لِرَبِّهم وأقامُوا الصَّلاَة وأَمْرُهُم شُورَى بَيْنَهم**﴾ [الشورى: ٣٨]. فقد سطرت الآية مبدأ الشورى، وركّزت الأحكام الدستورية عليه كأصدق نقطة في نظام الحكم، فضمنت بذلك حقوق الأفراد ولكنها لم تفصل طرق تطبيقها لأنها تختلف باختلاف الأزمان والبيئات، حتى يتمكن ولاة الأمور من وضع نظام يلائم حال المسلمين.

٣ ـ قانون العقوبات:

إذا نظرنا إلى العقوبات فيما عدا الحدود المقررة نجد آيات الأحكام غير كاملة التفصيل أيضاً، فقد أوكل الشارع إلى الحاكم وسائل التعزير وضبط مقاديره. وما دام التعزير موكلاً لاجتهاد الحاكم في الإسلام فهو مظهر من مظاهر المرونة يقررها في ضوء المصلحة العامة. ولا شك أن ذلك يتغير بحسب المصلحة زماناً ومكاناً وحالاً.

٤ ـ تنظيم الدولة السياسي والإداري والصحي والعسكري وغير ذلك من تنظيم المرافق والمؤسسات العامة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

العنصر الأساس في التجديد

مع مرور الأيام والسنين على الإسلام وتقادم العصور عليه يتجمع تراكم من التصورات المخطئة مضافاً إليها عناصر دخيلة، مما يُكَوِّن مع مرور الزمن هوة بين ممارسات المسلمين وبين الإسلام نفسه. فتقتضي الضرورة تجديد الإسلام بإعادة الفهم الصحيح لنصوصه، والتطبيق القويم لأحكامه، وتنقيته من العناصر الدخيلة عليه. ولتحقيق هذه الغاية لا بد من أمر يعمل على تصفية الشوائب، ولا بد أن يكون هذا بدوره نقياً لا شائبة فيه، الشيء الذي لا يتوفر إلا في الكتاب والسنة.

الرجوع للكتاب والسنة : ـ

إن الخطوة الأساس في تجديد الإسلام لا تعني أكثر من الرجوع إلى الإسلام الحق الموجود بنظريته السليمة في الكتاب والسنة، وبتطبيقه السليم بأعمال الصحابة والتابعين وتابعيهم. وهذا يعني سلوك طريق أهل السنة والجماعة، وهم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة رسول الله عليه السلام، والعمل بها ظاهراً وباطنا في القول والعمل والاعتقاد.

أما التطبيق العملي لهذا المفهوم فقد عبر عن نفسه عبر التاريخ بالتيار السلفي، ولذا فإن العلاقة بين التجديد وهذا التيار علاقة عضوية لا تنفك، فحيث كانت السلفية كان تجديد الإسلام

والسلف هم الصحابة والتابعون من أهل القرون الثلاثة الأولى الذين شهد لهم رسول الله. فأصبح مذهب السلف علماً على ما كان عليه هؤلاء الصحابة والتابعون وتابعوهم، ومن تبعهم من الأئمة الأربعة والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن، الذين اتبعوا طريق الأوائل جيلاً بعد جيل. ثم أصبح اصطلاحاً يطلق على السلف ومنهجهم في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه، فهو ليس محدوداً في

فترة زمنية معينة . وهكذا نشأ التيار السلفي منذ زمن بعيد كرد فعل إيجابي لتصحيح الأمور واعادتها إلى نصابها كما كانت في عهد النبوة . وهذا ما يميز الدعوة السلفية والعاملين فيها بالرغم من تباين ظروف البيئة الحضارية وتغاير العصور والأزمنة .

والسلفية لا تعني إعطاء السلف أكثر مما يستحقون من مكانة وتقدير، وإنما الأمر كله يعود إلى كون السلف أكثر فهما للشرع من غيرهم .

وعلى الرغم من أننا لسنا معنيين هنا بتفصيلات التيار السلفي والدعوة السلفية، إلا ان المقام يقتضي إشارة الى بعض قواعد المنهج السلفي ومنها :

١ ـ تقديم الكتاب والسنة على أي شيء آخر .

٢ ـ تقديم الشرع على العقل وإخضاع العقل للنص .

٣ ـ القرآن الكريم مصدر للأدلة النقلية والعقلية معا .

٤ ـ رفض التأويل الكلامي للصفات الإلهية .

٥ ـ رفض منهج المتكلمين والفلاسفة فيما يخص العقيدة الاسلامية .

٦ ـ التأكيد على عدم إغلاق باب الاجتهاد .

٧ ـ رفض التقليد الأعمى وهو تقليد الإمام لشخصه ودون البحث عن الدليل .

٨ ـ رفض تحديد التقليد بالأئمة الأربعة، والدعوة للاتباع .

٩ ـ التزكية القلبية .

١٠ ـ التأكيد على العلم وأهميته .

إن رجال الإصلاح الديني على اختلاف أعصارهم وبيئاتهم ومكوناتهم الشخصية، قد وردوا جميعا من معين واحد : (كتاب الله وسنة رسوله)، وتأسوا في

طريقة الإصلاح بإمام الهدى محمد ﷺ. ولذا نرى أن منهجهم قبس من منهجه، وأن طريقهم تبع لطريقه، وحظ كل منهم من النجاح مرتبط بمقدار حظه من التوفيق في حسن الأخذ وحسن التطبيق لذلك المنهج.

ولا شك أن الهدى هو ما كان من الله ورسوله، وأن هذا الهدى محصور في كتاب الله وسنة رسوله الله ﷺ فقط، وليس وراء هذا طريق ثالث للهداية. ولذا فقد كانت دعوة الرسول ﷺ تتركز على أمرين:

١ ـ توحيد الله، فهو المعبود وحده.

٢ ـ توحيد الطريق إليه، طريق عبادته وطاعته. وهذا لا يكون إلا بالتزام الكتاب والسنة.

إن الرجوع للكتاب والسنة بفهم السلف الصالح أمر في غاية الضرورة، والحاجة إليه مستمرة، وهو التجديد بعينه، وهو الأصالة بعينها، وهو أساس أي بعث إسلامي مرتقب، وهو الأساس المشترك الذي يمكن أن تتوحد عليه الأمة من جديد.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التجديد في فهم العقيدة

ما من ريب أن الانحراف في فهم العقيدة يُعدّ أكثر خطراً من غيره، فالعقيدة هي أساس الإسلام. وما تمتع به المسلمون يوماً ما من قوة كان سببه وضوح تصور العقيدة لديهم أولاً، وتفاعلهم معه ثانياً. وما يعانيه المسلمون الآن من ضعف عام في كافة جوانب حياتهم إنما يعود إلى سوء فهمهم للعقيدة، وبالتالي فلا مجال لتفاعلهم معها، وإن كان هناك من تفاعل فمع فهم مخطىء.

ولا ريب أيضاً أن الانحراف في فهم العقيدة كان أساس كل الانحرافات التي تلت في حياة المسلمين. فقد شغلت المسائل الفلسفية والكلامية ـ التي اثيرت ـ المسلمين عن حقيقة العقيدة وأصلها كقوة محررة لهم ولبني البشر الآخرين إلى البحث في مسائل وتفصيلات لا جدوى من البحث فيها، وابتعد المسلمون عن غايتهم الأصلية في الأرض وهي نشر الاسلام. فبعد أن كانت حياتهم عملاً وجهاداً وإنقاذاً للبشرية أصبحت جدالاً ونقاشاً في صفات الله وما شابه. فما الذي أحرزه المسلمون من الصراع العقلي والخصومة الجدلية بين الإتجاهات الفكرية للفرق الإسلامية التي غدت مصدر خلاف بين المسلمين في حين أن العقيدة هي مصدر توحيد.

وحينما غاب أو تشوه الفهم الصحيح للعقيدة انتشرت الخرافات. ولا شك أن هذا كان أحد أهم أسباب الانحطاط الروحي والاجتماعي والتدهور العام الذي أصاب حياة المسلمين. ذلك أن العقيدة هي الأصل الذي يطبع طريقة البشر في تفكيرهم وفي سلوكهم. فأصل الكون ومنزلة الانسان فيه وعمله في أبعاده وعلاقة الفرد بغيره وعلاقة المجتمعات فيما بينها كلها منبثقة من العقيدة.

ولقد انتشر الإسلام وتقبلته الأمم والشعوب الأخرى بسرعة حينما كان أصيلاً نقيا، ففي أصالته ونقائه سر تقبله واعتناقه، وفي يسره سر قوته.

إن القول: إنه لم يحدث اختلاف بين المسلمين في مسائل معينة أمر لا يقره التاريخ، فهذا قد حصل للأسف، وإن كان الله عز وجل قد حفظ الأمة ودينها من مضاعفاته وآثاره كما سيتضح معنا فيما بعد.

ولذا وجب أن يأخذ التجديد في العقيدة أولى أولويات التجديد، وهذا ما كان دائماً، فتصفية العقيدة مما داخلها من ضلال الجاهلية هو أول ما يتجه اليه المصلحون.

وإن القول: إنَّ العقيدة الإسلامية في بعض جوانبها جرت فيها محاولات للانحراف بها عن المسار الصحيح لا يمس الإسلام بسوء. فالعقيدة شأنها شأن بقية جوانب الإسلام لم تسلم من محاولات الهدم والإيذاء، وهل يعقل أن يحاول أعداء الدين هدم أجزاء الإسلام الأخرى، دون أن ينتبهوا إلى الانقضاض على أهم أجزائه وعناصره، وهي الأساس الذي تقوم عليه الأجزاء الأخرى وأعني العقيدة.

غير ان القول بأنه قد جرت محاولات للانحراف بالعقيدة لا يعني بالضرورة أن تلك المحاولات نجحت إلى الحد الذي أصبحت العقيدة الإسلامية الآن غير تلك العقيدة التي جاء بها رسول الله ﷺ، كما حدث بالنسبة للعقيدة التي جاء بها المسيح عليه السلام وهي عقيدة التوحيد والتي أصبحت بعد مرور أقل من ثلاثمائة عام على رفعه للرفيق الأعلى وكأنها عقيدة أخرى، الشيء الذي يختلف تماماً عما عليه الإسلام، فقد حفظ الله على الأمة معتقدها الصحيح، فنحن على بينة بأن عموم الأمة في الشرق والغرب من ناحية علم أصول الدين غير محتاجة إلى إضافة جديدة، وإنما هو مفتقر إلى التعليم الصحيح وترك ما يؤدي للتشكيك. ولذا فإن تجديد العقيدة إنما يكون:

١ ـ بتصفيتها مما داخلها من عناصر أجنبية، ومن شوائب البدع.
٢ ـ تصحيح فهم المسلمين لها بإبعاد التفسيرات المنحرفة الخاطئة.

٣ ـ بلفت النـظر والتركيز عـلى دور التوحيد وأهميته وتخليص النفـوس من الشرك الخفي .

وهذا لا يمكن أن يتم إلا باستقاء العقيدة من منابعها الأصلية ونعني مصدري الإسلام الرئيسين الكتاب والسنة .

إن الله تعالى هو المقرر للعقائد المشرع للأحكام فليس لأحد أن يحتج في أي جانب من جوانب الدين ، بما يحدثه من بدع . ولا شيء يخرج المسلمين مما هم فيه من الإنحلال الديني وضعف العقيدة إلا الرجوع بهم إلى الدين في أصوله الصافية .

وإن العقيدة والإيمان بالغيب مصدرهما الله تبارك وتعالى ولا يجوز أبداً لأي مسلم أن يتخذ طريقاً آخر للغيب يتلقى عنه ، وهكذا فكل عقيدة تخالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله فهي عقيدة باطلة يجب حربها والقضاء عليها .

ومن هنا فإن المنهج الصحيح الوحيد في فهم العقيدة هو منهج القرآن والسنة لا منهج علماء الكلام أو الفلاسفة المسلمين . وعلى سبيل المثال لا للحصر فان منهج القرآن في الصفات الإلهية يقتضي إثباتها بلا كيف ، ويقضي أيضاً أن يتم الإيمان بصفات الله وأسمائه من غير زيادة ولا نقص فيها ، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين ، بل بإمرارها كما جاءت في كتاب الله أو على لسان رسوله ، ورد علمها إلى قائلها . وهكذا فإن هناك أصولاً ثلاثة لفهم صفات الله عز وجل لا بد منها مجتمعة(١) وهي :

١ ـ الاثبات : فالواجب فيما يخص صفات الله عز وجل أن ينظر ، فما أثبته الله عز وجل ورسوله أثبتناه . وما نفاه الله ورسوله نفيناه . وفيما يخص الألفاظ والمعـاني المستعملة بهذا بهذا الخصوص فهي مجموعتان :

أ ـ الألفاظ التي وردت في الكتاب والسنة ، فتثبت ما أثبته الله ورسولـه في

(١) نقل الاصل الاول والثاني بتمامه من «التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية» للمؤلف نفسه ٤١ ـ ٤٢

الكتاب والسنة من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصها من الألفاظ والمعاني.

ب ـ أما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنى صحيحاً قُبل لكن ينبغي التعبير عنه بالفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة العامة، إلا عند الحاجة، مثل أن يكون المخاطب او السامع غير قادر على استيعاب المعنى الصحيح، ولا بد عندها من استعمال قرائن تبين المقصود.

٢ ـ التنزيــه:

إن اثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، ونفي ما نفاه عن نفسه لا يكفي، فلا بد من التنزيه. فالله سبحانه وتعالى موصوف في القرآن الكريم بصفات الوحدانية، ومنعوت بنعوت الفردانية قال تعالى: ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ الإخلاص. فالله تعالى ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله، وتنزيه الله يقتضي الأمور التالية:

أ ـ إن الله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. فالله تعالى لا يشبه المخلوق في اسمائه وصفاته وأفعاله. فأسماء الله تعالى ليست كأسماء غيره، وأفعاله ليست كأفعال غيره، وصفاته ليست كصفات غيره. فالله تعالى وان وُصِفَ بأنه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الانسان بها متكلما.

ب ـ ان خصائص الله تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته. فلا ريب ان نفي مشابهة شيء من مخلوقاته له مستلزم لنفي مشابهته لشيء من مخلوقاته.

٣ ـ الأصل الثالث هو استحالة معرفة كيفية صفات الله عز وجل سئل الإمام أحمد رحمه الله عن كيفية استواء الرحمن على العرش فقال للسائل: قل لي كيف هو أقول لك كيف استولى. وقال الإمام مالك ارحمه الله لما سئل عن قوله تعالى ﴿الرحمن

على العرش استوى ﴾ الاعراف: ٥٣ كيف استوى؟ فقال «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالاً وأمر به أن يخرج من المجلس(١) وهكذا فإنه بالأخذ بهذه الأصول الثلاث يكون الجواب عن السؤال التالي مثلاً: حدثني عن بصر الله تعالى؟ كما يلي: لله تعالى بصر (وهذا أخذ بالأصل الأول) وبصره تعالى لا يشبه بصر غيره، وبصر غيره لا يشبه بصره تعالى (وهذا أخذ بالأصل الثاني وهو التنزيه) ولا أحد يعرف كيفية بصره تعالى (وهذا أخذ بالأصل الثالث).

إن الفضل في الحفاظ على أصالة العقيدة الإسلامية يعود لأمرين:

١ ـ الحفاظ على النصوص الدينية المقدسة كما هي دون تحريف، وأعني القرآن والسنة، وهما مصدرا العقيدة الأساسيان. وبذا بقي المصدر الأهم مصوناً محافظاً عليه.

٢ ـ الحفاظ على الفهم الصحيح للنصوص العقيدية، وهو فهم الصحابة المستقى من رسول الله مباشرة، والذي انتقل إلينا عبر التابعين وتابعيهم، وهذا عنصر مهم جداً في الفهم الصحيح لتفصيلات العقيدة.

غير أن هناك أمراً آخر يجب ألا نغفله وله دوره الإيجابي المهم في هذه القضية، وهو حظر الاجتهاد في أمور العقيدة، فقد حال ذلك دون أن تصير العقيدة الإسلامية إلى ما صارت عليه العقيدة النصرانية واليهودية.

تحصل لنا مما سبق نتيجتان: ـ

١ ـ لقد جرت محاولات لتحريف الفهم الصحيح للعقيدة، وقد نجحت في بعض الجوانب والمظاهر إلى حد ما، مع بقاء التصور الصحيح مصوناً يعود إليه أصحاب الفهم السيء متى شاؤوا وإذا شاؤوا ذلك.

٢ ـ إن العقيدة الاسلامية بقيت سليمة مصونة من أي تحريف.

(١) البغوي، شرح السنة، جـ ١، ص ١٧١

على أنه ليس هناك تناقض بين هذين القولين . فالفرق الإسلامية التي أساءت في فهمها لبعض جوانب العقيدة الإسلامية ، والتي تمثل في الواقع محاولات الانحراف هذه مقصودة كانت أو غير مقصودة ، أفرز نشاطها الفكري مجموعة من الآراء لا تمثل في معظمها العقيدة النقية التي جاء بها رسول الله عن ربه .

وإزاء هذه الانحرافات وجد لدينا تراثٌ آخر عكف اصحابه على استقاء العقيدة من النصوص وفهمها كما فهمها الصحابة من رسول الله . وبذا ردت الأمور إلى نصابها ، وأصبح لدينا مصدران لدراسة العقيدة الاسلامية : ـ

١ ـ المصدر الأصيل الذي يمثل النقاء في العقيدة .

٢ ـ المصدر الدخيل الذي يمثل صورة غير أصيلة .

ولكن بقي سؤال هو : ما مدى التأثير العملي للمصدر الدخيل على عقائد الأفراد والأجيال عبر التاريخ ؟

الحق أنه لا يمكن بأي حال تشبيه الانقسام العقدي في الديانات الأخرى بما حدث في الإسلام . فالأمر مختلف تمام الاختلاف من حيث الجوهر والنتائج . ولا يهمنا مناقشة اختلاف الجوهر بمقدار ما يهمنا مناقشة الأمر الآخر وهو حصيلة الاختلاف . فالاختلاف الذي حدث في الديانة النصرانية مثلاً لم يندثر بل على العكس فقد برز وتبلور وظهر واضحاً . فهذه الفرق المنتشرة من كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية وغيرها إنما هي جماعات مستقلة ومتميزة عن بعضها بعضاً . والأمر الأكثر معنى وأهمية أن الانقسام الذي حصل لم يندثر وهذا هو بيت القصيد . أما الخلاف الذي أخذ مكانه بين المسلمين في فهم أمور العقيدة زال في غالبيته الساحقة . فأين هي تلك الفرق التي تمثل الاتجاه الدخيل في فهم العقيدة؟ أين هم المعتزلة وأين هم الخوارج والمعطلة والجهمية ؟

إن ما انشق وخرج عن جسم الأمة من مجموعات صغيرة لا يمكن الاشارة اليه

بأنه يمثل امتداداً لذلك الاختلاف الأول في العقيدة الذي أحدثته الفرق آنفة الذكر. فالقاديانية والبهائية مثلاً لا تمثل اختلافاً في العقيدة بل تمثل خروجاً كاملاً عن الإسلام. ويجب التفرقة بين مجموعتين مختلفتين ما زالتا ضمن نطاق الإسلام كالسنة والشيعة، وبين مجموعتين الأولى مسلمة والأخرى خارجة عن الإسلام بالكلية كالمسلمين عموماً والقاديانيين، فليس هناك مجال للبحث في التوافق والتعارض في الحالة الثانية.

ولقد اخبر رسول الله ﷺ عمّا سيحصل من انقسام في الأمة الإسلامية فقال: «والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار»(١).

لكن ما حصل فعلاً أن هذا الانقسام لم يستمر فقد بادت هذه الفرق وأتباعها، ولم يبق في الواقع ومنذ زمن بعيد غير التصور الصحيح للعقيدة الصحيحة مسيطراً على الواقع في عقول وقلوب الغالبية الساحقة من أبناء الأمة الذين يمثلون أهل السنة والجماعة عبر أجيال طويلة. فكانت الغلبة للتصور الصحيح والهزيمة الساحقة لبقية التصورات، مع وجود بعض الانحرافات الآن في عقول بعض أفراد الأمة، غير أن ذلك يعود إلى الجهل بصورة رئيسة.

---

(١) سبقت الاشارة اليه ص ٦

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تجديـــد التفسيـــر

إن تعدد التفاسير ليس مؤشراً على اختلاف الأمة وتفرقها، فان لذلك أسباباً منها:

١ ـ لقد نزل القرآن باللغة العربية، والفاظ هذه اللغة يدور اللفظ الواحد منها بين معنيين أو أكثر ويسمى بالمشترك، كلفظ القَرْءِ الذي يراد به الحيض أو الطُّهْر.

٢ ـ تفاوت المفسرين في معرفة اللغة العربية.

٣ ـ تفاوت الصحابة في ملازمة النبي، وقد ورد عن رسول الله ﷺ الأحاديث الكثيرة في تفسير آيات من القرآن.

٤ ـ تفاوت المفسرين في قدراتهم العقلية.

وتجديد التفسير إنما يكون بالالتزام بالشروط التي وضعها المفسرون ضد الانحراف في فهم كتاب الله ونعني بها الالتزام بشروط المفسر وأهمها:

١ ـ أن يكون عالماً باللغة العربية وأساليبها علماً كاملاً ليدرك معاني التصريف البياني، وهذه تكاد تكون من أهم الخطوات في فهم كتاب الله تعالى.

٢ ـ ألا يخالف المأثور عن النبي ﷺ ولا يناقضه. وهذا يقتضي ان يحيط بالتفسير المأثور عن النبي الكريم واصحابه رضوان الله عليهم والتابعين رضي الله عنهم.

٣ ـ أن يلم بعلم اسباب النزول، إذ إن معرفة سبب النزول، تعين على فهم المراد من الآية.

٤ ـ أن يلم بعلم الناسخ والمنسوخ وبه يعلم المحكم من غيره، ومن فقد هذه الناحية، ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والإضلال.

٥ ـ أن يُلم بعلم القــراءات ، إذ بمعرفة القراءة يمــكن ترجيح بعض الوجوه على بعض .

٦ ـ أن يلم بأصول الدين (العقيدة) ، وبه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى ، وما يجوز ، وما يستحيل ، وأن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات والمعاد ، وما الى ذلك نظرةً صحيحةً .

٧ ـ ان يلم بعلم اصول الفقه ، اذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها .

٨ ـ ألا يتعصب لفكرة او لمذهب حتى لا يفسر القرآن الكريم تحت تأثير هواه .

ولذلك لا يجوز أن يُقْدِمَ أي مسلم على تفسير القرآن الكريم في الحالات التالية :

١ ـ إذا لم يكن مستكملاً للشروط الآنفة الذكر .

٢ ـ إذا فسر بالهوى .

٣ ـ إذا جزم بأن مراد الله كذا من غير دليل .

٤ ـ إذا جعل مذهبه هو الأصل في فهم الآية فيكون التفسير تـابعاً لمـذهبه والمفروض العكس .

وعلى أي حال فانه من الأهمية بمكان ان يفهم المسلمون ان هناك فرقاً بين القرآن الكريم وبين تفاسيره ، فكل ما جاء في كتاب الله صواب لا يحتمل الخطأ أو الزلل ، بينما ما جاء في التفاسير إنما هو فهم لآيات القرآن ، وهذا الفهم قد يحتمل الصواب والخطأ ، ولذا وجب على المسلمين أن لا يتعاملوا مع التفسير باعتباره كتاب الله تعالى .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تجديـــد الفقــه

ظهر لنا عند الكلام على انحراف الفقه أن أسباب انحرافه ذاتية وداخلية، وليست خارجية. ففي حين انحرف التصوف نتيجة لاختلاطه بالفكر الدخيل الأجنبي، فإن الحال مع الفقه لم تكن كذلك.

وإنه وإن بلغ الفقه الإسلامي من القوة والنضج والإحاطة ما لم يبلغه أي تشريع آخر في فترة قصيرة فإنما كان ذلك بسبب الاجتهاد وممارسته من أهل التخصص، والتحرر من ربقة التقليد المذهبي المذموم، ولذا فإن طريق تجديد الفقه في هذا الزمان واضحة وبينة تعتمد أساساً على رفض التقليد المذهبي الأعمى وفتح باب الاجتهاد للقادرين عليه الذين استوفوا ادواته.

إن دعوى إقفال باب الاجتهاد كانت ضربةً قاسية اصيب بها المسلمون في حياتهم الفكرية وفي تفكيرهم الديني على الخصوص. وعليهم الآن أن يجددوا نشاطهم، ويزيلوا ما علق بأذهانهم من أوهام، فكل من استوفى أدوات الاجتهاد كان له الحق أن يجتهد، بل كان ذلك من أوكد واجباته، ويكفي أن نُذَكِّر بما كنا قد أوردناه من أضرار إغلاق باب الاجتهاد فليراجع(١).

الاجتهـــاد:

ما من شك أن حركة الحياة مستمرة ووقائعها متغيرة، وأن قضايا الناس ومشاكلهم متجددة بتجدد هذه الوقائع وبتجدد الزمان واختلاف المكان. ومن هنا فإنه كان من الضروري أن تكون للشريعة أحكام في هذه الوقائع المتجددة، وإلا تخلفت الشريعة عن الحياة البشرية المستمرة واتهمت بالجمود، وهذا ولا شك أحد نتائج إغلاق باب الاجتهاد، الشيء الذي يؤدي الى القطيعة بين الدين والحياة.

---

(١) راجع الصفحات ٦٩ - ٧١ من هذا البحث.

ومن المعلوم أن التشريع الإسلامي لا يعتمد في أحكامه على الكتاب والسنة فحسب، بل يعتمد أيضاً على الاجتهاد الذي هو حركة العقل الإنساني المستنير القادر على التطور بتطور الأحداث وابتكار الأحكام الملائمة للظروف إذا استند إلى كتاب الله وسنة رسوله ومبادىء الإسلام العامة. ومن أهم ما يدل على أن في الاجتهاد تطوراً اعتماد المجتهدين العرف والاستحسان فيما يستنبطونه من أحكام.

ولهذا كان الاجتهاد دائماً سبباً هاماً من أسباب التجديد في الإسلام، إذ إن الاجتهاد يؤدي الى اضافة شيء، وهذه الإضافة -في ظل قواعد الإسلام طبعاً- ضرورية حتى يحافظ الإسلام على مرونته الذاتية وصلاحيته لكل زمان ومكان.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة وإدراكاً لها اجتهد العلماء الأوائل، وسلكوا في ذلك مسلكين بارزين في الاجتهاد التشريعي وهما:

١ ـ مسلك أهلك الحديث الذي يتمثل في الاعتماد على النصوص واستخدام الرأي لاستنباط الأحكام الشرعية منها، واكثر استخدام الرأي هنا إنما هو في فهم النصوص وطرق انطباقها على الأحداث، ومن أشهر ائمة الاجتهاد في هذا المسلك الائمة مالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل.

٢ ـ مسلك أهل الرأي وقد اعتمدوا النصوص كأهل الحديث، لكن لقلة النصوص التي اعتمدوها كان استخدامهم للرأي أكثر من الآخرين وأشهر هؤلاء الإمام أبو حنيفة النعمان.

والاجتهاد لا يعني نبذ المنصوص وابتكار فقه عقلي، موافق لما يبدو لأول نظرة. عجلى أنه مصلحة من غير اكتراث بمقاصد الشريعة السامية المدارك. فهذا مما لا يوافق عليه مؤمن، وإنما تجديد الفقه إنما يكون بتدارك ما تداعى من قواعده أو كاد، بسبب إغلاق باب الاجتهاد فيما سبيله الاجتهاد، والحال أن كل مفت في زمننا الذي كثرت فيه المكتشفات والمخترعات مضطر لأن يجتهد، بل قبل وقتنا هذا وقفنا على فتاوى لمقلدين اضطروا فيها إلى الاجتهاد المطلق وقُبِلَ منهم، ولكن منعوا من إطلاق

وصفه عليهم .

والكلام في الاجتهاد يقود بطبيعة الحال إلى الكلام عن التقليد . فليس التقليد عذراً لكل أحد بل هو عذر للقاصر عن إدراك الدليل الذي لم يحصل على الدرجة الوسطى فقهاً وحديثاً وعربية وأصولاً . . الخ . وكل من حصل على منصب الفتوى أو القضاء عن استحقاق فهو محصل لأكثر الشروط التي تشترط في الاجتهاد ، ومن حصل عليها لم يقبل منه التقليد ، وقد ذم الله قوماً قالوا : ﴿إنَّا وجَدْنا آباءَنا على أمةٍ وإنا على آثارِهِم مُقْتَدون﴾ [الزخرف : ٢٣]

لقد تسرب خلل عظيم إلى الفقه بسبب كثرة الخلاف بين الفقهاء لاختلاف المجتهدين رضي الله عنهم لأسباب معلومة . ثم تشكل في شكل آخر على عهد المقلدين من المفتين فتشعبت الآراء وغاب نجم الحق في سحاب التقليد والتعصب المذهبي ولا سيما في فروع المعاملات المبنية على مصالح تليق بزمن مضى ولا توافق الزمن الحاضر ، وتصلح أحكامها لأحوال دون احوال وبيئة دون بيئة مع ما تجدد في عصرنا من مبتكرات ومخترعات ، ونشأت معاملات لم يكن لها نظير في الزمن الغابر .

إن التمسك بنصوص الشريعة وحفظها واجب حتم ، أما نصوص الأئمة المقتدى بهم فليس كذلك . ذلك أن أقوال العلماء في أمور الدين لا تؤخذ قضية مسلمة قط ، بل لا بد من عرضها على الكتاب والسنة ، فما وافق أخذ وما خالف ذلك رد . وإذا جاز لنا أحياناً الأخذ بها والعمل بها إذا لم نعلم الدليل فإنما ذلك إلى حين معرفتنا بالدليل ومتى عرفنا الدليل حكمنا به على القول .

ومن هنا كان هناك نوعان من التقليد :

١ ـ تقليد الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة وهو تقليد محمود ، ونسميه تقليداً مجازاً ، والأصح أنه اتباع .

٢ ـ تقليد الأئمة وهذا قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً . وإن كان اتباعاً لرأي امام يعتمد على دليل مستمد من الكتاب أو السنة ، فهذا ليس تقليداً بل هو ـ

أيضاً ـ اتباع للقرآن والسنة .

أيضاً فإن من التقليد المحمود الا يقتصر المسلم على مذهب امام واحد ، بل يأخذ من المذاهب الأخرى في كل مسألة ما كان أقرب إلى دلالة الكتاب والسنة .

وإذا كان مما تسبب في انحراف الفقه الالتزام بمذهب وعدم تركه مهما كانت الظروف ، فإن مما يقتضيه تجديد الفقه دراسة أكثر من مذهب وموازنة المذاهب والمدارس الفقهية حتى يتبين وجه الحق على ضوء القواعد العامة للقرآن والسنة . ولذلك فإن تدريس الفقه المقارن أمر في غاية الحيوية والضرورة .

إن حصر التقليد في الأئمة الأربعة : ابي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل قضية لا دليل عليها ، ومن هنا فإن تقليد علماء آخرين أمر وارد طالما أن الكتاب والسنة هما المقياس والحكم في عملية التقليد .

وإذا كان مما تسبب في انحراف الفقه تتبع بعض الناس للرخص والآراء السهلة في المذاهب ، فإن مما يقتضيه التجديد تتبع الأحكام التي تنبني على أدلة قوية وصحيحة وترك ما بني على ادلة ضعيفة .

معنى الاجتهاد وحدود ممارسته :

على الرغم من أن الاجتهاد وسيلة مهمة جداً للتجديد ، غير أن ذلك ليس أمراً دون حدود أو ضبط ، ولو كان الأمر كذلك لأصبح وسيلة للتحريف والتغيير .

والاجتهاد هو إعمالُ العالم عقله ليصل إلى حكم شرعي . وهو لا يعني أن يضع المجتهد امام عينيه فكرة ما ثم يلوي النصوص ليستدل بها قسراً على صحة تلك الفكرة . لكنه يستلهم من النصوص حكم الله في هذه المسألة أو تلك . والفرق كبير بين استغلال النصوص لخدمة فكرة ما ، والخضوع للنصوص لاستنتاج فكرة ما ، وبعبارة أخرى الفرق كبير بين استخدام النصوص كوسيلة لتسويغ فكرة ما قد تكون صحيحة أو غير صحيحة ، والبحث عن مقصد الشارع وحكمه في المسألة .

والاجتهاد له ميدان محدود، ولا يجوز أن يجتهد فيما سواه إذْ من المعلوم أن الدين قسمان:

١ـ قسم ثابت لا يقبل الاجتهاد أو الإضافة كمسائل العقيدة والأخلاق والعبادات وأمثالها.

٢ ـ مسائل السياسة والاقتصاد والمعاملات والاجتماع، ولا نقول بأن هذه متغيرة بشكل مطلق. لكننا نقول: إن اصولها في الإسلام ثابتة، فهي متغيرة لكنها تخضع للثابت الذي ورد في القرآن والسنة ونعني بذلك الأصول العامة للاسلام.

وبالإضافة إلى كون الاجتهاد له ميدان محدود، فإن للمجتهد الذي يمارسه شروطاً معينة أيضاً وهاتان الضمانتان ضروريتان حتى يكون الاجتهاد سبباً لتجديد الإسلام لا لتحريفه.

شروط الاجتهاد:

١ ـ أن يكون المجتهد على علم باللغة العربية

٢ ـ أن يكون على علم تام بأحكام القرآن والأصول التشريعية التي قررها.

٣ ـ أن يكون على علم تام بالسنة، والمراد بها السنن التشريعية القولية والفعلية والتقريرية، أي بما صدر عن الرسول من التشريع جزئياته وكلياته.

٤ ـ أن يكون على علم بمذاهب المجتهدين السابقين، حتى يعرف ما اجمعوا عليه وما اختلفوا فيه ووجهات نظرهم فيما اختلفوا فيه.

٥ ـ أن يكون على علم بحقيقة القياس وأركانه والشروط الواجب توفرها في كل ركن، وخاصة شروط العلة ومسالكها وقوادحها.

٦ ـ أن يكون على علم بمقاصد الأحكام.

٧ ـ أن يكون على خُلق كريم مخلصاً في طلب الحقيقة الإسلامية، فلا يتعصب ولا يفرض أن قوله صواب مطلقاً وقول غيره خطأ مطلقاً.

موجز تجديد الفقه :

نَخْلُصُ مما سبق أنه من الضروري لتجدد الفقه الإسلامي الأخذ بالأسباب التالية :

١ ـ ضرورة رعاية روح النص وظروفه حتى تكون هناك مرونة ، فالتمشي مع الفقهاء في التقيد بحرفية النص دون الرجوع الى روحه وظروفه يؤدي حتماً إلى الجمود الذي هو نوع من أنواع الانحراف .

٢ ـ الرجوع بالفقه إلى منابعه الأصلية : الكتاب والسنة .

٣ ـ الإعلان عن فتح باب الاجتهاد للقادرين عليه من الأكفاء .

٤ ـ اصلاح التقليد :

إن تقليد الأئمة الأربعة او غيرهم من الأئمة لا يُعد تحريفاً أو انحرافاً عن الإسلام إذا كان هذا اتباعاً لما توصلوا إليه من الكتاب والسنة ، وإذا كان اتباعاً لهم على أساس من الكتاب أو السنة.على أن الأمر ينقلب إلى تحريف إذا اصبح التقيد بآرائهم لمجرد اشخاصهم أو مذاهبهم أو أصبح التتبع تتبعاً للرخص وللأسهل بغض النظر عن قوة الدليل أو ضعفه .

إن هذا المبدأ يجعلنا بعيدين عن أسباب الانحراف لأن الجري وراء المذهبية يؤدي حتماً للانحراف كما سبق تفصيله وبيانه .

أما الالتزام بما قالوه إذا كان مطابقاً غير معارض للقرآن والسنة ، فإنما هو التزام بالأصلين. هذا الالتزام الذي أشرنا أنه الضمانة المهمة الرئيسية ضد الانحراف واقامة التجديد . ويقتضي اصلاح التقليد أيضاً عدم تحديده بالأئمة الأربعة ، فهناك أئمة وعلماء يجوز لنا تقليدهم كابن جرير وسفيان والحسن البصري وابن تيمية وابن القيم . . الخ ،

٥ ـ تشجيع طلاب العلم الشرعي على دراسة الفقه بطريقة الموازنة ، أو ما

يعرف بالفقه المقارن ، لأن هذه الطريقة كفيلة بأن توفر للطالب موازنة الأدلة واختيار الأحكام الأقوى دليلاً .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دور السلطة السياسية في حماية الدين من التحريف

نظراً لأهمية الدين القصوى في حياة المسلم، ولأن كل أوجه حياته تعتمد عليه فإن الإسلام لم يترك للمسلمين أو علمائهم فقط وظيفة الدفاع عن أصالة الدين وتنقيته من الشوائب كلما علقت به عبر العصور نتيجة لأسباب داخلية او خارجية. وإنما بالإضافة إلى ذلك كلف السلطة السياسية أن يكون لها دور هي كذلك في حماية الدين من التشويه والتحريف. يقول الإمام ولي الله الدِّهلوي «اعلم أنه يجب أن يكون في جماعة المسلمين خليفة لمصالح لا تتم إلا بوجوده وهي كثيرة جداً يجمعها صنفان:

أحدهما ما يرجع الى سياسة المدينة من ذب الجنود التي تغزوهم وتقهرهم وكف الظالم عن المظلوم، وفصل القضايا، وغير ذلك، وقد شرحنا هذه الحاجات من قبل. وثانيهما ما يرجع إلى الملة، وذلك أن تنويه دين الإسلام على سائر الأديان لا يتصور إلا بأن يكون في المسلمين خليفة ينكر على من خرج من الملة، وارتكب ما نصت على تحريمه أو ترك ما نصت على افتراضه اشد الإنكار»(١).

إن المطلع على كتب الفقه ليجد أحكاماً خاصة شرعت للذود عن الدين بعامة وعن العقيدة بخاصة وفيما يلي بعض منها:-

١ - حكم المرتد: قال ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه»(٢).

٢ - حكم المبتدع: ذهب كثير من العلماء إلى ان المبتدع في الدين لا يُلقى عليه السلام.

٣ - حكم الساحر: إن الواجب على ولاة الأمور، وعلى كل مسلم قادر السعي

---

(١) ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، جـ ٢، ص ٧٣٥.

(٢) حديث صحيح اخرجه البخاري وأحمد عن ابن عباس، وانظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٦٠٠١ والارواء ٢٥٣٧

في استئصال أعمال السحرة والمنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والحُجُب، ومنعهم من مزاولة أعمالهم الفاسدة. ويأثم كل من يستطيع أن يفعل ذلك ولا يفعله. فمثل هذه المجموعة من الناس تستحق العقوبة البليغة، التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس. وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة، ونحو ذلك، ونوع يتكلم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة بأنواع السحر. وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر، كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة، أضف إلى ذلك أن الإسلام يمنع تداول كتب السحر والكفر، بل لم يجعلها مالاً متقوماً شرعاً. ومنْ يبِعهْا يأكلْ ثمنها حراماً ومن يشتَرِها ينفق ماله في حرام.

٤ ـ الافتاء بغير علم: حرم الاسلام الفتوى بغير علم فقال ﷺ «من أُفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه..»(١) كما ان حماية الدين من المفتين بغير علم والضرب بيد من حديد عليهم من وظائف السلطان المسلم.

(١) عن ابي هريرة، حديث حسن رواه ابو داود (٣٦٥٧)، وانظر صحيح الجامع الصغير وزيادته ٥٩٤٤

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الثقافة الإسلامية والغزو الثقافي

كان وما زال مصطلح الثقافة في نظر الكثير من الناس مرادفاً للعلم والمعرفة. وهذا ظن جانبه الصواب. فالطبقة المثقفة في نظر الكثيرين هي الفئة المتعلمة، والإنسان المثقف هو من قرأ شيئاً من الكتب والدوريات واختزن في ذهنه الكثير من المعلومات والنظريات.

غير أن هذا غير ما ذهب اليه الاختصاصيون في ميدان الثقافة، فهي لديهم ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع عن البيئة ومعبر عنها أو مواصل لتقاليدها في هذا الميدان أو ذاك. وثقافة امة من الأمم هي علمها غير الواعي الذي تتوارثه أجيالها وتسير به في شئون حياتها، أي هي طريقتها في الحياة، تدخل في ذلك اللغة أو اللهجة من اللغة، ونظام إقامة البيوت وأنواع المآكل وطرق تحضيرها وطرق تناولها والملابس والفرش والثياب وأشكالها والأمثال والحكايات الشعبية وتصور أهلها للدنيا وموقفهم من الحياة وطريقة سيرهم فيها وحرفهم وطرائقهم في الصناعة والزراعة والتجارة والملاحة، وباختصار هي طريقة شعب في الحياة بكل ما تضمه حياة ذلك الشعب من تفاصيل

وإذا كانت ثقافة أية أمة هي طريقتها في الحياة، وبما أن لكل أمة طريقة في الحياة فإن لكل أمة، أياً كان حظها من التقدم أو التأخر، ثقافة. وحيث إن ثقافة الأمة هي طريقتها في الحياة فهي إذن شخصيتها المميزة لها عن غيرها من الأمم والشعوب. والثقافة بهذا تختلف عن العلم اختلافاً بيناً، فالعلم عالمي وان اختلفت اللغة التي يؤدى بها، أما الثقافة فهي محلية خاصة بشعب من الشعوب ومميزة له عن غيره.

وبناء على ما سبق فإن الثقافة الإسلامية هي الشخصية المميزة للشعوب الإسلامية عن غيرها من شعوب العالم وأممه المختلفة .

الديـــن والثقافـــة :

تتكون ثقافة أية أمة خلال مدة طويلة بفعل عوامل وقوى متعددة تشارك في صنع أسلوب الحياة . فمن هذه العوامل ظروف الأمة وتجاربها في الحياة وعوامل مناخية وجغرافية وتاريخية . . الخ . غير أن أهم ما يشارك في صنع ثقافة ما وإخراجها إلى حيز الوجود وبلورة ابعادها وتحديد ملامحها هو عامل الدين ، أياً كان ذلك الدين . ولذا فإن الصواب لم يجانب اليوت حينما أشار إلى هذه الحقيقة في كتابه «ملاحظات نحو تعريف الثقافة» إذ قال : «إن القوة الرئيسية في خلق ثقافة مشتركة بين شعوب متعددة هي الدين» ولكن الأديان نفسها تتباين قوة وضعفاً . ولذا فقد كان من الطبيعي أن يتفاوت تأثيرها في صنع الثقافات التي تنتسب اليها وتتسمى بها بحسب قوتها وضعفها ، وبحسب ما تتمتع به وتمتاز من تكامل وشمولية يسمحان لها ويؤهلانها لفرض هيمنتها وممارسة نفوذها على كافة مناحي الحياة ومباديها ، فكلما كان الدين شاملاً متكاملاً في تشريعاته كلما كان تأثيره في صنع أسلوب الحياة «الثقافة» أعمق وأوضح .

ولذا فقد كانت هناك دوماً ثقافات قوية وأخرى ضعيفة . يقرر ذلك قوة أو ضعف العوامل والقوى التي تشارك وتساهم في صنع ثقافة ما .

الإسلام ثقافة المسلمين :

في الوقت الذي لا يمكننا الادعاء أن الإسلام أكثر الأديان أتباعاً على كوكبنا هذا ، فإن احداً لا يجرؤ على إنكار حقيقة مفادها أنه أقوى الأديان فعالية وتأثيراً في نفوس أتباعه . ولذلك أسباب عدة منها شموليته كعقيدة وشريعة وطريقة كاملة للحياة وعالميته وانسجام أصوله وفروعه مع الفطرة والعقل ويسره . ولذا فقد كان من الطبيعي أن يفرز هذا الدين ثقافة متجانسة الأجزاء قوية وإيجابية وقادرة على الصمود

أمام تحديات الغزو الثقافي أيا كان مصدره، شرقيا أو غربيا، وأياً كانت قوته.

لقد أوجدت الفكرة الراسخة الأصيلة المتجانسة التي جاء بها الإسلام متمثلة بعقيدته والقانون المتكامل الشامل لكل نواحي حياة الفرد والمجتمع والدولة، أوجدت تصوراً واحداً وموقفاً واحداً ومشاعر واحدة لكل المسلمين، فكانت الثقافة الاسلامية هي القاسم المشترك الأعظم بين الشعوب الإسلامية جمعاء.

ولقد حرص رسول الله ﷺ على الوحدة الثقافية للأمة المسلمة فأكد على ضرورة التزام المسلمين جميعاً بنظرة واحدة وموقف عملي واحد نابع من الكتاب والسنة وحذر من الابتداع الذي له اخطار عديدة أكثرها شراً خلق ثقافات دخيلة في جسم الثقافة الأصيلة التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهو عليه السلام في الأحاديث العديدة التي حذر فيها المسلمين من الإضافة للدين ما ليس فيه إنما كان في الواقع يحذر من نجاح أية محاولة لغزو ثقافي أجنبي، والأحاديث التي صرحت بذلك كثيرة منها الحديث الصحيح الذي روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود وابن ماجة، قوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

الغـــزو الثقافـــي:

لقد كان وجود قوي وضعيف يغري دائماً الأول بغزو الثاني وفرض هيمنته عليه وهذا ليس بدعاً بالنسبة للقوانين الوضعية التي تحكم العلاقات الإنسانية. فوجود القوي والضعيف عسكرياً استتبعه دائماً غزو عسكري واحتلال، ووجود القوي والضعيف اقتصادياً قاد دائماً لغزو وهيمنة اقتصادية. وأوضح مثال على هذين الأمرين حال أمتنا الآن عسكرياً واقتصادياً.

ووجود ثقافتين إحداهما قوية والأخرى ضعيفة ليس استثناءاً. فهو يقود أيضاً إلى غزو يدعى الغزو الثقافي، وهو بلا أدنى ريب أكثر أنواع الغزو خطراً. ومن الأمثلة الواضحة عليه في التاريخ المعاصر تلاشي ثقافة سكان جزر هاواي أمام الثقافة

الأمريكية وتلاشي ثقافة أهل جزيرة فيجي أمام الحضارة الإنكليزية ، والثقافة المحلية في تاهيتي أمام الحضارة الفرنسية .

الهيمنـــة الاقتصـــادية :

غير أن التفوق العسكري أو الهيمنة الاقتصادية لأمة من الأمم وممارسة قوتها العسكرية أو الاقتصادية على أمة أخرى لا يعني بالضرورة حدوث غزو ثقافي . فقد تكون الأمة قوية عسكرياً ومزدهرة اقتصادياً لكنها ضعيفة ثقافياً . وقد يصيب الضعف العسكري أمة من الأمم فيحتلها عدوها أو يهيمن عليها اقتصادياً لتصبح سوقاً استهلاكية يصرف فيها منتوجاته ، لكنها مع ذلك تبقى صامدة ثقافياً لا لشيء إلا لأن ثقافتها أقوى من ثقافة المحتل . وإن الدارس للتاريخ ليرى هذه الظاهرة واضحة بشكل جلي في فترات متعددة من تاريخ الأمة الإسلامية بدءاً بالتتار وانتهاء باليهود في فلسطين ومروراً بالصليبيين والإنكليز والفرنسيين والإيطاليين في استعمارهم الحديث للعالم الإسلامي . بل إن هذه الأمة المغلوبة على أمرها في أزمنة مختلفة استطاعت أن توقع بمحتلها هزيمة ثقافية شاملة متمثلة بدخول المغول في دين الله أفواجاً بعد احتلالهم وتخريبهم الشامل للشرق الإسلامي ، كما أنها استطاعت أن توقع بالأوروبيين هزيمة ثقافية محدودة حدثت نتيجة لاحتكاك الأوروبيين بالمسلمين في الأندلس وإبان الحروب الصليبية في فلسطين وبلاد الشام وتأثرهم كثيراً بالثقافة الإسلامية نتيجة لهذا الاحتكاك حتى عد الكثيرون ذلك من أسباب النهضة الأوروبية .

ولعل قوة الثقافة الإسلامية ومناعتها هي التي دفعت بإسبانيا المسيحية لليأس من احراز أي كسب في جهودها التي بذلتها لتنصير مسلمي الأندلس بعد سقوط الحكم الإسلامي عام ١٤٩٨م ، فعمدت إلى طردهم أو إحراقهم وهم أحياء بواسطة محاكم التفتيش التي أقيمت خصيصاً لهذه الغاية .

وفي تاريخنا الحديث أمثلة أخرى على قوة الثقافة الإسلامية وقدرتها على

المقاومة، فهذه أقطار المغرب العربي وبشكل خاص الجزائر تصمد وتقاوم بثقافتها الإسلامية السياسة الفرنسية التي رمت إلى تذويب الشخصية الإسلامية مبتدئة باللغة التي تعد من أهم قواعد الثقافة وأسسها.

وقد تصدى القرآن الكريم لتلك المحاولة فأحبطها من أساسها، وهذه حقيقة لا يستطيع أحد إنكارها، إذ لولا المساجد لفقدت الجزائر لغتها العربية إلى الأبد.

وفي الوقت الذي فشل فيه الغزو الثقافي الفرنسي من تحقيق انتصار على الثقافة الإسلامية في أقطار المغرب العربي، فإنه استطاع بسهولة إنجاز مكاسب مهمة على الثقافات الوثنية في بعض الأقطار الافريقية مما أدى إلى ذوبان تلك الشعوب ذوباناً تاماً في الثقافة الفرنسية حتى إنها اعتنقت الكاثوليكية «مذهب الفرنسيين» وسادت المظاهر الحقيقية للثقافة الفرنسية.

لقد أشرنا آنفاً إلى عدم وجود علاقة بين الغزو العسكري والغزو الثقافي. وقلنا إن حصول غزو عسكري لا يقتضي بالضرورة حصول غزو ثقافي. وهنا نود أن نلفت الانتباه إلى أمر آخر وهو أن التفكك السياسي والاقتصادي بين أجزاء الأمة الواحدة لا يعني بالضرورة حصول تفكك ثقافي.

ولذا فإنه ليس من باب التفاؤل الكاذب أو الزعم أن نذكّر بأمرين:

الأول: إن ما تواجهه امتنا الإسلامية من تحديات على المستويات العسكرية والاقتصادية وغيرها لا يشكل خطراً يهدد مستقبلها، لأن الضمانة التي تحول دون ذلك متوفرة وموجودة بحمد الله وهي الثقافة الإسلامية المرتكزة على العقيدة. بل على العكس من ذلك فإن هذه التحديات ستشكل في النهاية عناصر إيجابية تشحذ الهمم وتوقظ الوعي وتنهض بالعزائم.

والأمر الثاني: إن ما تمر به أمتنا من انقسام سياسي وعدم تنسيق اقتصادي واختلافات وانقسامات متنوعة وعديدة لا يشكل أيضاً خطراً على ما تتمتع به الأمة من وحدة ثقافية أساسها وضمانتها الإسلام.

مظاهـــر الغـــزو الثقـــافي

إن استحالة نجاح الغزو الثقافي الأجنبي للأمة الإسلامية وثقافتها الأصلية لا يعني بالضرورة استحالة وجود مظاهر ثقافية أجنبية معينة في ثقافة المسلمين وحياتهم اليومية . كما أن وجود مثل هذه المظاهر لا يعني نجاح الغزو الثقافي الأجنبي . ولقد أخبر الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام بتأثر المسلمين ببعض مظاهر ثقـافـات الأمم الأخـرى . فقـد روى أحمـد في «مسنـده» والبخـاري ومسلم في «صحيحهما» وابن ماجة في «سننه» عن أبي سعيد قوله ﷺ «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبراً وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، قالوا اليهود والنصارى؟ قال : فمن؟ » .

إن الدارس لتاريخ الإسلام والمسلمين يستطيع أن يرى مظاهر ثقافية دخيلة في ميدانين رئيسيين : فهم الإسلام وحياة المسلمين .

فبالنسبة للإسلام فقد تسببت العناصر الدخيلة التي أضيفت إليه إلى تشويه صورته الناصعة والانحراف في فهمه وأقصد بالانحراف هنا الانحراف الذي وقع في فهم الإسلام نتيجة للابتعاد عن أصليه الأصيلين كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام . فالإسلام بخلاف الأديان الأخرى لم يقع فيه التحريف بالنص ، إذ إن الله سبحانه وتعالى قد تكفّل بصيانة النصوص من أي تحريف فقال عز من قائل : ﴿**إنَّا نَحنُ نزَّلنا الذِّكرَ وإنا لهُ لَحافِظونَ**﴾ [الحجر : ٩]

لكن التشويه في الفهم حصل على أي حال في عهود مختلفة وعصور متباينة ولم يحصل ذلك بسبب اتصال الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم ، إذ كثيراً ما اتصلت هذه الأمة بغيرها دون أن تتأثر بثقافة أجنبية . وإنما حصل ذلـك الانحراف والتشـويه لضعف المسلمين في فترات معينة بسبب ابتعادهم عن الكتاب والسنة ، فأدخلت فرق وجماعات إسلامية معينة على الدين ما ليس فيه بحجة البدعة الحسنة أو بغيرها من الحجج ، واستعارت عناصر ثقافية أجنبية أضافتها إلى الإسلام مشوهة بذلك

صورته وتصوره في النفوس . ويكفينا هنا مثالٌ واحد هو ما أدخله الصوفية المسلمون على الإسلام من عقيدة وحدة الوجود بعدما أخذوها من متصوفة الديانات الأخرى وفي مقدمتها الهندوسية الوثنية .

غير أن العناية الإلهية حفظت هذا الدين من التحريف والتشويه ، فقام العلماء الأفاضل في كل عصر وزمان يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون الناس للرجوع للكتاب والسنة لأنهما الضمانتان الوحيدتان لتنقية الإسلام من أية شائبة أو عنصر دخيل فكان المجددون وكان التجديد .

التجديد والثقافة الإسلامية :

والإسلام كما رأينا في مفهومه للتجديد مغاير تمام المُغايرة لكل الأديان الأخرى في مفهومها لهذه القضية . فالتجديد في الأديان الأخرى غير الإسلام عنى دائماً إضافة عناصر جديدة أو حذف عناصر أصيلة لجعل الدين أكثر ملائمة للعصور المتجددة كما حدث في اليهودية أو المسيحية وغيرها . أما بالنسبة للإسلام فإن التجديد بعكس ذلك تماماً اقتضى حذف كل العناصر الدخيلة وتنقية الإسلام من كل شائبة بالعودة إلى النبع الصافي لهذا الدين المتمثل في أصلية القرآن الكريم والسنة المطهرة . وقد كانت هذه المهمة هي الشغل الشاغل للمجددين جميعاً كابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وكل الدعوات السلفية التي قامت في العالم الإسلامي على مرّ العصور ، وهي التي تمثل التجديد الإسلامي بأصدق وأدق معانيه .

وانسجاما مع مفهوم التجديد في الإسلام رفضت البدعة بكل أنواعها وعُدَّ كل ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله ﷺ بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، فليس هناك ما يسميه بعض الناس بدعة حسنة بل هناك بدعة مكفرة أو بدعة محرمة ، ولا ثالث لهما ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك بالتفصيل . (١)

مما سبق يتضح لنا قوة العلاقة التي تربط أصالة الثقافة الإسلامية بمفهوم

(١) انظر ص ٨٧

التجديد في الإسلام .

الثقافة الإسلامية ومناعتها :

أما فيما يخص حياة المسلمين أنفسهم فقد تأثرت تصرفاتهم وسلوكهم الحياتي بالثقافات الأجنبية وخاصة الثقافة الغربية التي امتدّ تأثيرها لمجالات عديدة في حياة الفرد والمجتمع والدولة . فكانت مظاهر الثقافة الأجنبية في لباس المسلمين رجالاً ونساءً وفي طعامهم وشرابهم وفي العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والتي سادها الفتور وإهمال القريب لقريبه والجار لجاره نتيجة للتأثر بأسلوب الحياة الغربية . وفي الاحتفالات أخذ المسلمون يقلدون الأجانب بالاحتفال بمناسبات معينة كعيد الأم وعيد العمال وغيرها كثير .

وفي الحياة السياسية انتشرت الدعوة للديمقراطية التي يرفضها الإسلام كبديل للشورى، وفي ميدان الاقتصاد والمال ساد النظام المالي والاقتصادي الغربي الذي قوامه الربا بأنواعه العديدة التي يصعب حصرها .

وفي الختام فإن ثقتنا الكبيرة بقوة الثقافة الإسلامية ومناعتها ينبغي أن لا تدفعنا للكسل والإهمال، لنقوم بتطهير حياتنا من مظاهر الثقافة الأجنبية ، فنحن مدعوون بل مأمورون بتنقية تصرفاتنا اليومية من تلك المظاهر الدخيلة التي تأثرنا بها لا لضعف الثقافة التي ننتمي إليها بل لضعف تمسكنا بهذه الثقافة وقلة تفاعلنا معها .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

خاتمـــة

اختلفت وتباينت مظاهر الانحراف في شتى العصور والأمكنة، غير أن فكرة التجديد ظلت واحدة، وهي العودة إلى الأصل نصاً وفهماً. أما نصاً فبالعودة إلى نصوص الكتاب والسنة، وأما فهماً فبالعودة إلى فهم السلف الصالح وتابعيهم وتابعي تابعيهم ومن جرى على نهجهم لتلك النصوص. كما أن التمكن من لغة العرب التي نزلت بها النصوص شرط ضروري للتجديد. وبمقدار الفهم لهذه اللغة يكون الفهم السليم لتلك النصوص.

وقد رأينا كيف أن الانحراف امتد ليشمل فهم وممارسة نواح عديدة من الإسلام، لكن التحريف لم يصل للنصوص فقد سلم الله عز وجل النصوص من أي تحريف، فحفظ القرآن والسنة مصداقاً لقوله تعالى ﴿**إنَّا نحنُ نزَّلْنا الذِّكرَ وإنا لهُ لحافظونَ**﴾ [الحجر: ٩] ومما يقتضيه حفظ القرآن ان تحفظ السنة لأنها المبينة له والشارحة لأحكامه والمخصصة لعامه والمقيدة لمطلقه.. الخ.

إن التحريف يعني التغيير: تغيير النص لفظاً أو معنى. والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير، فهناك ثلاثة أنواع إذن:-

١ - تغيير لفظي يتغير معه المعنى.

٢ - تغيير لفظي لا يتغير معه المعنى.

٣ - تغيير معنوي وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل.

ومما لا شك فيه أن الله تعالىٰ صان نصوص الإسلام المقدسة عن النوعين الأول والثاني وصان الفهم الصحيح للنصوص أيضاً وهو ما يختص به النوع الثالث. وكما أصاب الانحراف الفهم وممارسة ميادين شتى من الإسلام كالعقيدة والعبادة والأخلاق.. الخ، فإن التجديد قد امتد أيضاً ليشمل كل مجال أصابه انحراف في الفهم أو الممارسة. وحينما نقول: (تجديد الدين) فإن المقصود من لفظ الدين يشمل

المعتقد والفقه والعبادة والأخلاق . . الخ ، وكل هذا بحاجة إلى تجديد (الرجوع إلى الأصل) دائم بإعادة الناس في فهمها إلى الأصل . أما المعاملات وما شابهها فإن التجديد فيها يكون بالاجتهاد .

وهكذا فإن الانحراف في الفهم وتصويب هذا الانحراف طبقاً للكتاب والسنة (التجديد) ظلتا وما زالتا عمليتين متلازمتين مستمرتين ، وبهذا بقي وسيظل للإسلام نقاؤه وصفاؤه . وهذه المهمة أخذها على عواتقهم علماء السنة المتبعون للسلف الصالح .

وباختصار فإن التجديد في الإسلام معناه الرجوع إلى الإسلام كما كان جديداً عند ابتدائه ، أو قل كشف الغطاء عن القديم الأصيل وإظهاره للناس كما قال ﷺ «ان الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلُحون إذا فسد الناس»(١) . وكما المح إلى ذلك الصحابي الجليل عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه في الأثر الصحيح عنه قال «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم عليكم بالأمر العتيق»(٢) وكما قال الإمام مالك رضي الله عنه . «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً»

---

(١) سبقت الاشارة اليه ص ٦

(٢) اخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٨١) الطبعة الثانية : «ورجاله رجال الصحيح» ، ورواه الدارمي واسناده صحيح .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قائمة المراجع

١ ـ ابن تيمية، تقي الدين، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣

٢ ـ ابن عربي، محي الدين، الفتوحات المكية، الطبعة الاولى، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.

٣ ـ أبو حمدان، محمد، الفلاسفة والفكر الإسلامي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٨.

٤ ـ الألباني، محمد ناصر الدين، تلخيص احكام الجنائز، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٩٨٢.

الألباني، محمد ناصر الدين، مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة، المكتبة الاسلامية، عمان، ١٩٨٣.

الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الاحاديث الصحيحة، المكتبة الاسلامية عمان، ١٩٨٤.

٥ ـ بدوي، عبدالرحمن، شخصيات قلقة في الاسلام، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٨.

٦ ـ البهي، د. محمد، محاضرات في الفكر الإسلامي في مرحلتة الثانية، دار الزيني، القاهرة، ١٩٦٢.

٧ ـ الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمزي، مطابع الفجر الحديثة، حمص، ١٩٦٧.

٨ ـ الجندي، انور، شبهات في الفكر الاسلامي، دار الاعتصام، القاهرة.

٩ ـ جوهري، الشيخ طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٥٠هـ

١٠ـ حلمي، د. مصطفى، قواعد المنهج السلفي، دار الانصار، القاهرة، ١٩٧٦.

١١ـ الحنفي، محمد بن علاء الدين، شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٢.

١٢ـ الدهلوي، احمد ولي الله، حجة الله البالغة، دار الكتب الحديثة، القاهرة

١٣ـ الذهبي، د. محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٦

١٤- الزين، سميح عاطف، الاسلام وثقافة الانسان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.
١٥- الشقيري، محمد، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠
١٦- عبدالخالق، عبدالرحمن، الاصول العلمية للدعوة السلفية، الدار السلفية، الكويت، ١٩٧٥.
عبدالخالق، فضائح الصوفية، مكتبة ابن تيمية، الكويت.
عبدالخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، الدار السلفية، الكويت، ١٩٧٥
١٧- عبده، الشيخ محمد، تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت.
١٨- العدوي، محمد احمد، اصول في البدع والسنن، دار بدر، القاهرة، ١٩٨١
١٩- الغزالي، ابو حامد، جواهر القرآن، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧
الغزالي، احياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.
٢٠- الكاشاني، الفيض، تفسير الصافي، طهران، ١٣٧٤هـ
٢١- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الاسلامية، طهران
٢٢- المبارك، محمد، المجتمع الاسلامي المعاصر، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧.
٢٣- محمود، عبدالحليم، المجموعة الكاملة لمؤلفاته، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤.
٢٤- المرغيناني، برهان الدين، الهداية، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة.
٢٥- موسى، محمد يوسف، المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية، دار الكتب الأهلية، القاهرة، ١٩٤٥.
٢٦- المودودي، ابو الأعلى، موجز تجديد الدين واحيائه، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١.
٢٧- نعناعة، د. رمزي، بدع التفاسير في الماضي والحاضر، منشورات وزارة الاوقاف الاردنية، ١٩٧٠.
٢٨- الهلالي، سليم، هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين؟ المكتبة الاسلامية، عمان، ١٩٨٤.
٢٩-ونسنك، أ.ي، المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٩.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

تقديم ٥
أسباب الانحراف في فهم الإسلام ١٠
الانحراف في فهم العقيدة ٢١ - ٤٤
- التعطيل والتكييف والتمثيل والتشبيه والالحاد والتجهيل ٢٢ - ٢٥
- انحرافات الفرقة الإسلامية فيما يخص العقيدة ٢٦ - ٢٩
- مساهمة علم الكلام في تحريف العقيدة ٣٠
- الفلسفة الإسلامية ٣٢
- دور التصوف في تحريف فهم العقيدة ٣٣ - ٣٨
- الشيعة ٣٩ - ٤٢
- انحراف الأشاعرة ٤٣
الانحراف في ممارسة العبادة ٤٥ - ٥٦
- الاحتجاج بالنية ودوره في افساد العبادة ٤٧
- مظاهر الانحراف في العبادة عند المتصوفة ٤٧
- العبادة والبدع (من بدع الصلاة، الحج، الجنائز، المساجد) ٤٩ - ٥٥
انحراف التفسير ٥٧ - ٦٨
- مدارس التفسير ٥٧
- انحراف التفسير بالمأثور وبالرأي ٥٨
- الحقيقة والمجاز ٦٠
- امثلة على التأويلات الفاسدة ٦٢
- مظاهر تحريف اخرى في التفسير ٦٤
انحراف الفقه ٦٩ - ٧٦
- ركود الفقه الاسلامي ٦٩
- اغلاق باب الاجتهاد ٧١
- مظاهر تحريف الفقه ٧٢

دفاعاً عن السنة	٧٧ ـ ١٠٢
ـ نتائج تعطيل السنة وآثاره	٨١
ـ البدعة: مصادرها، حكمها	٨٥ ـ ٨٨
ـ الاجتهاد والبدعة	٨٩
ـ الحديث الموقوف والبدعة	٨٩
ـ آثار البدع	٩١
ـ العلاقة بين السنة والفقه	٩٣
ـ الجهل بالدين هو الداء ليس غير	٩٨
أمثلة من الانحراف والتحريف المعاصرين	١٠٣ ـ ١٠٧
التجديد	١٠٨ ـ ١٢٠
ـ ماذا يعني تجديد الاسلام	١٠٨
ـ مرونة الاسلام ذاتية لا اضافية	١١٢
ـ الثابت والمتغير في الاسلام	١١٧ ـ ١٢٠
العنصر الأساس في التجديد	١٢١ ـ ١٢٣
التجديد في فهم العقيدة	١٢٥ ـ ١٣١
ـ اصول فهم صفات الله تعالى	١٢٦ ـ ١٢٨
تجديد التفسير	١٣٢ ـ ١٣٣
تجديد الفقه	١٣٥ ـ ١٤١
دور السلطة السياسية في حماية الدين من التحريف	١٤٣ ـ ١٤٤
الثقافة الاسلامية والغزو الثقافي	١٤٥ ـ ١٥٣
ـ الدين والثقافة	١٤٦
ـ الاسلام ثقافة المسلمين	١٤٦
ـ الغزو الثقافي	١٤٧
ـ التجديد والثقافة الاسلامية	١٥١
خاتمة	١٥٣
قائمة المراجع	١٥٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

طبـــع في
شركة الشرق الأوسط للطباعة
تلفون ٨٩٤٩٤٠ - ٨٩٤٩٤١ / ص.ب ١٥٢٨٦
عمان - الأردن / ماركا الشمالية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هذا الكتاب

إن الأسباب الحقيقية للانحطاط الذي تمر به الأمة اليوم أسبابٌ داخلية وليست خارجية. وفي مقدمة هذه الأسباب تشوُّه الصورة الأصيلة للإسلام لدى الأجيال المسلمة المعاصرة، وإنَّ اختلاط الفهم الاسلامي الصحيح بغيره أمر لا يستطيع أن ينكره أحد والغاية الأساس من هذا الكتاب هي الفصل بين الاسلام وبين ما هو دخيل عليه متمثلاً في كثير من ممارسات المسلمين عبر التاريخ، بحيث تتضح صورة الإسلام دون زيف ودون إضافات دخيلة وغريبة ودون أية وصاية بشرية على دين الله.

إن الخطوة الأساس في عودة المسلمين إلى دينهم هي فهم الإسلام فهماً صحيحاً موافقاً للكتاب والسنة، ودون ذلك تظل الجهود التي تبذل في سبيل تلك الغاية مبددة وضائعة. وإن هذا الكتاب يضع الخطوط العريضة نحو فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً.

إن لهذا الكتاب جانبين، أما الجانب الأول فإنه يتعرض فقط للأخطاء والانحرافات في فهم العقيدة وممارسة العبادة وانحراف الفقه والتفسير مع أمثلة من الانحراف المعاصر.

وأما الجانب الثاني من الكتاب فإنه يعرض البديل ممثلاً في الاجراءات والخطوات الكفيلة بإعادة المسلمين إلى الفهم الصحيح للإسلام وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

من آثـــار المـــؤلف

١ ـ التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية
٢ ـ الاسلام والمسألة الجنسية
٣ ـ دراسات في الأسرة في الإسلام
٤ ـ Morales And Manners In Islam
٥ ـ تحقيـــق التوحيـــد

وجميعها تطلب من : دار الكتب الاسلامية
عمـــان ـ ص.ب : ٢٣٠٣٤٨